صِفَاتُ رَبِّ البَرِيَّةِ

على منهج العقيدة السلفية

تأليف

الدكتور علي محمد محمد الصلابي

المكتبة التوفيقية

صفات رب البرية

على منهج العقيدة السلفية

تأليف
الدكتور علي محمد محمد الصلابي



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
٥٩٢٢٤١٠ ٥٩٠٤١٧٥



المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان : أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون : ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس : ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo - Egypt
Add : in front of the Green Door Of El Hussen
Tel : (00202) 5904175 -5922410
Fax : 6847957

إشراف
توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد..

فلما كانت معرفة الله تعالى أول واجب على المكلف في دينه، وكانت هذه المعرفة لا تتم على الوجه الأكمل إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله في خلقه، والإقرار بتلك الأسماء والصفات والأفعال المتعلقة بالرب والتي بينها المولى ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، اخترت هذا البحث لعل الله أن ينفعني وينفع به المسلمين.

ومحاولة متواضعة مني في إيضاح عقيدة أهل السنة في الصفات، خصوصًا وأن المناهج المبتدعة والمغشوشة والضالة والمنحرفة، أصبحت لها جامعات ومدارس وكتَّاب ينشرون عقائد الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم، ولبَّسوا على المسلمين عامة، والشباب خاصة، وأصبح الكثير من أبناء المسلمين يعتقدون عقائد مخلوطة بالفلسفة وعلم الكلام، ويظنون أنها عقائد

أهل السنة، جهلاً منهم، ولما كان من أولويات الدعوة إلى الله معرفة أسماء الله تعالى وصفاته وهي من أهم فروض الأعيان.

ولما كان حال المسلمين محزنًا بسبب عدم فهم المسلمين لعقيدتهم التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه.

ولما كان سبب التفرق بين المسلمين بسبب اختلافهم في العقيدة الصافية، ودخل في عقائدهم التفويض والتأويل ولما كثرت البدع واستفحل أمرها في ديار المسلمين، وكان لزامًا على طلاب العلم والعلماء أن يبينوا للناس ولا يكتموا الحقائق التي أنزلها الله على رسوله ﷺ.

اخترت هذا البحث سائلاً من الله التوفيق والسداد ومتتبعًا لنصوص الصفات في الكتاب والسنة ومحاولاً فهمها كما فهمها السلف الصالح مستنيرًا بآثارهم وأقوالهم، وجاعلاً الأدلة النقلية هي الأساس في الاستدلال مع عدم الإهدار للأدلة العقلية (ولا أنسى جزيل شكري لمن أسهم في إخراج هذا البحث، وله مني الدعاء بظهر الغيب).



خطة البحث

قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له وبينت منهجي في اعتمادي على الكتاب والسنة في أقوال السلف الصالح في بيان عقيدة أهل السنة في الصفات، ثم ذكرت خطة البحث وختمت المقدمة بالشكر لأهل الفضل بعد الله ﷻ.

الباب الأول: في بيان منهج أهل السنة ووجوب اتباعه واهتمام العلماء به وإقامة الحجة على أنه الأسلم والأعلم والأحكم، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريفات لبعض المصطلحات المهمة في البحث، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: معنى السنة في اللغة والاصطلاح، ومعنى أهل السنة وألقاب أهل السنة.

المبحث الثالث: معنى الصفة في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: بيان نشأة مصطلح أهل السنة وخصائص عقيدة أهل السنة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة مصطلح أهل السنة وتاريخ إطلاقه.

المبحث الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة.

الفصل الثالث: بيان اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح، وبيان قواعد التلقي والاستدلال والنظرة الصحيحة لدور العقل، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح.

المبحث الثاني: قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة.

المبحث الثالث: النظرة الصحيحة لدور العقل عند أهل السنة.

المبحث الرابع: الأدلة على وجوب اتباع أهل السنة ولزوم منهجهم.

المبحث الخامس: طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم.

الباب الثاني: أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات وبيان معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات التي قام عليها وطائفة من أقوال السلف وبيان أقسام الصفات وأهم القواعد في بيان الأسماء والصفات: ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية معرفة الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: بيان معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث: الأسس التي قام عليها معتقد السلف في بيان الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: معنى قول أهل السنة من غير تحريف ولا تعطيل.

الفصل الثاني: وفيه طائفة من أقوال السلف.

الفصل الثالث: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: إثبات صفة الكمال لله سبحانه وتعالى من خلال سورة الإخلاص.

المبحث الثاني: تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية.

المبحث الثالث: أفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي.

المبحث الرابع: الفرق بين صفات الذات والفعل.

الفصل الرابع: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في بعض الصفات الذاتية.

المبحث الثاني: في بعض الصفات الفعلية.

المبحث الثالث: بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة.

المبحث الرابع: تنزيه الله عن كل صفات النقص.

الفصل الخامس: في بعض القواعد للأسماء والصفات:

الباب الثالث: علاقة الذات والأفعال والصفات بعضها ببعض وموقف أهل السنة من التأويل والتفويض وبيان الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة وعلاقة الصفات بالحاكمية، وفيه ثلاثة فصول:



الباب الأول

في بيان ميزات منهج أهل السنة
ووجوب اتباعه، واهتمام العلماء به
واقامة الحجة على أنه الأسلم والأعلم والأحكم

الفصل الأول: تعريفات لبعض المصطلحات المهمة في البحث.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: معنى السنة في اللغة والاصطلاح، ومعنى أهل السنة وألقاب أهل السنة.

المبحث الثالث: معنى الصفة في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: بيان نشأة مصطلح أهل السنة وخصائص عقيدة أهل السنة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة أهل السنة وتاريخ إطلاقه.

المبحث الثاني: خصائص عقيدة أهل السنة.

الفصل الثالث: بيان اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح وبيان قواعد التلقي والاستدلال والنظرة الصحيحة لدور العقل. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح.

المبحث الثاني: قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة.

المبحث الثالث: النظرة الصحيحة لدور العقل عند أهل السنة.

المبحث الرابع: الأدلة على وجوب اتباع أهل السنة ولزوم منهجهم.

المبحث الخامس: طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم.



الفصل الأول

تعريفات لبعض المصطلحات المهمة في البحث

المبحث الأول

العقيدة لغة واصطلاحًا

العقيدة لغة: من العقد، وهو الربط والشد بقوة، منه الإحكام والإبرام والتماسك والمراصة والإثبات والتوثيق[١].

العقيدة في «الاصطلاح»: كلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة ولا في أمهات معاجم اللغة، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها «عقائد» هو القشيري سنة «٤٣٧ هـ» في كتابه «الرسالة» وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول[٢].

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل فقال: «الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى - في الحكم والأمر والقدر والشرع ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم، والاتباع»[٣].

ولفظ العقيدة يشمل: التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم.

ومن مسميات هذا العلم: العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (عقد) (٣/ ٢٩٥- ٣٠٠)، و«القاموس المحيط» (عقد) (١/ ٣٢٧- ٣٢٨).

(٢) انظر: «معجم المناهي اللفظية»، للشيخ بكر أبو زيد، ص (٢٤٢).

(٣) «مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة» ص (٩).

المبحث الثاني

في بيان معنى السنة في اللغة والاصطلاح

أولاً: السنة- في اللغة:

هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، محمودة كانت أو مذمومة، قال ابن فارس: والسنة السيرة، وسنة رسول الله ﷺ سيرته، قال الهذلي:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها … فأول راض سنة من يسيرها[١]

وفي لسان العرب: «والسنة هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة وقال: وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيها الطريقة»[٢].

ومنه قوله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمِلَ بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[٣].

ثانيًا: السنة- في الاصطلاح:

تختلف السنة في اصطلاح كل من المحدثين، والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وأصول الدين وإن كان الجميع يتفق على أنها سنة النبي ﷺ، وإنما وقع الاختلاف عند التفصيل والتحديد[٤].

فالسنة عند المحدثين: «هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[٥].

---

(١) ابن فارس، «مجمل اللغة»، بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان (٢٠/ ٤٥٥).

(٢) «لسان العرب»، مادة (سنن) (١٣/ ٢٢٥).

(٣) مسلم كتاب «العلم»، باب: من سن سنة حسنة، (٤/٢٠٥٩)، ح (١٠١٧).

(٤) «وسطية أهل السنة بين الفرق» للشيخ محمد باكر بن محمد، بتصرف ص (١٧).

(٥) انظر: «قواعد التحديث» للقاسمي، ص (٦٤).

والسنة عند الأصوليين: قال الآمدي - رحمه الله -: «أما في الشرع فقد تطلق السنة على ما كان من العبادات نافلة، منقولة عن النبي ﷺ، وقد تطلق على ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان هاهنا، ويدخل في ذلك أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره»[١].

السنة عند الفقهاء: قالوا: «السنة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب»[٢].

السنة عند السلف: إذا نظرنا في كلام علماء أهل السنة، نجدهم يعنون بالسنة معنى أوسع من معناها عند المحدثين، أو الأصوليين، أو الفقهاء.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** - رحمه الله -: «ولفظ السنة في كلام السلف، يتناول السنة في العبادات، وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات»[٣].

وأما **ابن رجب** - رحمه الله - فقال: «السنة هي: الطريق المسلوك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك»[٤].

وقد جمع الشيخ ناصر العقل تعريفًا شاملاً لمعنى السنة في الاصطلاح الشرعي مفهومًا عامًا، وهو: «أنها تعني الدين الذي جاء به الرسول ﷺ، من العلم والعمل والهدي، ومفهومات تتفرع عن هذا المفهوم، كالسنة مقابل القرآن الكريم، والسنة بمعنى المشروع، وخلافه البدعة، والسنة بمعنى الاتباع، والسنة بمعنى أصول الدين والاعتقاد السليم، والسنة

---

(١) «الأحكام في أصول الأحكام» للآمدي، (١/١٢٧).

(٢) انظر: «السنة ومكانتها»، للسباعي، ص (٤٨). ولقد استفدت في هذا البحث من كتابين مهمين هما: «منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد»، و«مجمل أصول أهل السنة والجماعة».

(٣) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ص (٧٨).

(٤) «جامع العلوم والحكم»، ص (٢٤٩).

بمعنى الحديث، والسنة بمعنى النافلة»[١].

معنى السنة عند أهل السنة:

هذا المصطلح يراد به أحد معنيين:

المعنى الأول: وهو معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام، ويخرج من ذلك الرافضة، فيقال: هذا رافضي، وهذا سني، وهذا اصطلاح العامة[٢].

ويبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيقول: «جمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناها لست رافضيًا»[٣].

وقد بين سفيان الثوري عندما سئل ما موافقة السنة؟ قال: «تقديم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»[٤].

المعنى الثاني: معنى أخص وأضيق من المعنى العام ويخرج معه أهل البدع والأهواء من الخوارج والمرجئة والقدرية وغيرهم من أهل الضلال.

يقول **ابن تيمية** - رحمه الله -: «فلفظ أهل السنة يُراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يُراد به: أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق وإن الله يُرى في الآخرة ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[٥].

فأهل السنة هم أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم تلقوا عنه مباشرة أمور الاعتقاد كما تلقوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة نبيهم وأتبع لها ممن جاء بعدهم.

وهم أيضًا: التابعون لهم بإحسان، المقتفون آثارهم في كل عصر ومصر، وعلى

(١) «مفهوم أهل السنة والجماعة»، (٤٧).

(٢) «وسطية أهل السنة بين الفرق»، رسالة دكتوراه، ص (٣٦).

(٣) «الفتاوى»، (٣/ ٣٥٦).

(٤) اللالكائي: «شرح أصول السنة»، (١/١٥٢).

(٥) «منهاج السنة النبوية»، بتحقيق محمد رشاد سالم (٢/ ٢٢٠).

رأسهم أهل الحديث والأثر، الذين نقلوا إلينا سنة رسول الله ﷺ وميزوا صحيحها من سقيمها، وعملوا بها واعتقدوا ما دلت عليه.

يقول الإمام **ابن حزم** - رحمه الله - في بيان أهل السنة: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فأهل السنة هم: الصحابة ﷺ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله عليهم -، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم»[1].

ألقاب أهل السنة:

هناك ألقاب لأهل السنة والجماعة يعرفون بها، منها:

١- أصحاب الحديث والأثر:

وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله ﷺ وآثار أصحابه رضوان الله عليهم تمييزًا وفهمًا وعملاً، واحتجاجًا بها.

قال **الإمام أحمد** رحمه الله:

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار[2]

٢- السلف الصالح:

والمراد بهم: الصحابة رضي الله عنهم، وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعظم شأنهم فيه، وتلقى المسلمون كلامهم - خلفًا عن سلف - بالرضاء والقبول كالأئمة الأربعة، والسفيانين، والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك، وإبراهيم النخعي، والبخاري، وسائر أصحاب السنن، ودون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضٍ، مثل الخوارج والروافض، والمعتزلة، والجبرية[3].

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، (٢/ ١١٣).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» (٢/ ٤٣).

(٣) «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد» (١/ ٣٣).

٣-الفرقة الناجية المنصورة:

الحديث: « ... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة** » قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** »[١].

وحديث: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** »[٢].

المبحث الثالث

معنى الصفة لغة واصطلاحًا

الصفة لغة: « وصف الشيء له وعليه إذا حلاه، وقيل: الوصف مصدر، والصفة الحلية، وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ولغته والوصَّاف العارف بالوصف »[٣].

وقال صاحب مختار الصحاح: « استوصف الطبيب لدائه، سأله أن يصف له ما يعالج به، والصفة كالعلم والجهل والسواد والبياض. وأما النحويون فليسوا يريدون هذا، بل الصفة عندهم النعت إلى المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة »[٤].

والصفة في الاصطلاح: « إن صفات الله توقيفية، فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان، بل الواجب الوقوف عند ما وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله محمد ﷺ إذ لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصفه من خلقه أعلم من رسوله ﷺ، ولا يقال في صفاته: هي مجاز، بل صفاته كلها حقيقية على ما يليق بالله تعالى، وإيماننا بصفات الله تعالى على وفق إيماننا بذاته تعالى، بل هو إيمان إثبات وتسليم لا تكييف فيه ولا تشبيه، وبالتالي لا تحريف فيه ولا تعطيل، بل إيماننا بالله وبصفاته في ضوء الكتاب والسنة ما تدل عليه من

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٢٦)، كتاب « الإيمان » رقم (٢٦٤١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣)، وكتاب « الإمارة » حديث رقم (١٩٢٠).

(٣) « لسان العرب » (٩/ ٣٥٦).

(٤) « مختار الصحاح » ص (٢٧٤، ٢٧٥).

التنزيه الكامل مع إثبات الصفات إثباتًا لا يصل إلى التشبيه والتجسيم، وهذه النصوص تتفق مع الأدلة العقلية التي تدعو إلى الإيمان بجميع كمالات الرب تعالى بالجملة، مثل كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال، ولا فرق عند السلف بين صفات الذات كالقدرة، والعلم، والإرادة مثلاً وبين صفات الأفعال كالاستواء والنزول والمجيء، لأنها كلها جاءت بها نصوص الكتاب والسنة. والعقل السليم لا يرفض ذلك بل يبادر إلى قبوله»[1].



(١) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة» بتصرف (٨٤، ٨٥).

الفصل الثاني

بيان نشأة مصطلح أهل السنة

وخصائص أهل السنة

المبحث الأول

بيان مصطلح «أهل السنة»، وتاريخ إطلاقه

يرجع إطلاق لفظ أهل السنة إلى صدر الإسلام، إلى عصر النبوة، والقرون المفضلة، وقد ذكر ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. أن الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة[١].

ثم تتابع ورود استعمال اللفظ وإطلاقه عن كثير من أئمة السلف - رحمة الله عليهم -، فمنهم أيوب السختياني (٦٨ - ١٣١ هـ).

فقد أخرج اللالكائي عنه أنه قال: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي» وقال أيضًا: «إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»[٢].

وإليك أخي المسلم ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في مقدمة كتاب السنة حيث قال: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا»[٣].

وبهذا القول يتضح لنا أن لفظ أهل السنة معروف عند السلف وميزوا به بينهم وبين أهل البدع، كما وضّح ذلك الإمام وغيره من الأئمة الثقات الأثبات.

---

(١) ابن كثير، «التفسير» (١/ ٣٩٨).

(٢) اللالكائي: «شرح أصول أهل السنة» (١/ ٦٠، ٦١).

(٣) «السنة» ص (٣٣ - ٣٤) مع كتاب «الرد على الجهمية».

المبحث الثاني

خصائص عقيدة أهل السنة

لعقيدة أهل السنة والجماعة خصائص امتازت بها، سنذكر بعضها في هذا البحث ونوجز ذلك لظهورها وخوفًا من الإطالة فلا تحتاج إلا لتذكير الناسي، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، وسنجعل هذه الخصائص العظيمة في نقاط هي:

١- أنها مستقاة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنة، بعيدة عن كل تأثير أجنبي طارئ على البيئة الإسلامية ومجردة من تأويلات العقول ونزعات الأهواء ومجادلة الفرق.

٢- أنها تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام وتقطع دروب الشيطان إلى النفس بعد أن تترك في النفس الطمأنينة الصادقة والارتياح الكامل، وهذا هو الموقف الذي يرتضيه الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

بينما تجد الكثيرين من أتباع الفرق الأخرى في حيرة من اعتقاداتهم الفاسدة.

٣- أنها تجعل موقف المسلم موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة، لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب، وفي ذلك منجاة كبرى، ومزية عظمى، لأنها تعصم المسلم من رد معاني نصوص الكتاب والسنة أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى ويلائم القصد.

٤- أنها تربط المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزة وافتخارًا، كيف لا وهي تجعله يسير على خطى الصحابة، وغيرهم من سلف الأمة المباركة، سادة الأولياء وأئمة الأتقياء، وما كانوا عليه من الدين الذي لا جدال فيه، كل ذلك يزيد المسلم بصيرة في دينه[1].

فهو متأكد أنه يسير في ظلال الفرقة الناجية التي وصفها النبي ﷺ في حديث افتراق

(١) انظر: كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» من كلام المحقق رضا بن نعسان (١/ ١١، ١٢).

٨- كما تنفرد هذه العقيدة بأن فيها التمسك بسنة النبي ﷺ كاملة، وعدم رد أي شيء منها إذا ما اجتمعت فيها الشروط التي توجب الأخذ بها، وعدم التفريق بين متواترها وآحادها قبولاً وردًا في العقيدة، قبولاً للأول، وردًا للثاني، كما يفعل أرباب الكلام والفرق، وإن الأخذ بالسنة كاملة هو تحقيق صادق لقول النبي ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[1].

٩- إنها تُجنب المسلم الهلكة بتركه الخوض في البدع والزيغ فهي تبتعد بالمسلم حقًّا عن التفكير في ذات الله تعالى، فهي سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والإلغاز، لأن معالجة السلف للقضايا تتسم بالبساطة واليسر، ولذا فإن كل محاولة للابتعاد عن الفطرة والوضوح هي محاولة للابتعاد عن حقيقة الدين.



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والدارمي (١/ ٤٤).

الفصل الثالث

بيان اهتمام العلماء بعقيدة السلف

وبيان قواعد الاستدلال والتلقي، والنظرة الصحيحة لدور العقل

المبحث الأول

اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح

قد اهتم علماء أهل السنة اهتمامًا بالغًا بعقيدة السلف الصالح، ولذلك ألفوا الكتب الكثيرة في إيضاحها من جهة، وفي الرد على أعدائها ومخالفيها من شتى الطوائف والفرق من جهة أخرى، ومذهب السلف وعقيدتهم إنما تعرف بالنقل عنهم، لا بمجرد الزعم، والتخرص، كما هو الحال عند بعض أهل البدع، والعلماء دَوَّنوها مُسْنَدةً، وذكروا ألفاظهم في ذلك بالأسانيد، ونقلوها لنا بالتواتر، كما نُقلت إليهم بالتواتر، وذلك واضح في طوائف المسلمين ممن كان على مذهب السلف من الفقهاء الأربعة، ومن أهل الحديث وغيرهم ممن هم على منهج أهل السنة.

والملحوظ لدينا من خلال البحث النزيه أن تدوين العقيدة السلفية قد واكب تدوين السنة النبوية سواءً بسواء، ومن ثم فإن الذين عنوا بالسنة وتدوينها هم أول من عني بالعقيدة وتدوينها، وقد لا ينتبه كثير من أتباع الأئمة الأربعة الفقهاء أن لأئمتهم سبقًا في هذا المضمار، وأن ما نقل عن بعضهم من أقوال، أو تأليف يعتبر بداية لتدوين عقيدة أهل السنة والجماعة، فللإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ) كتابان في العقيدة هما الفقه الأكبر، والوصية، وللإمام مالك (ت ١٧٩ هـ) في موطئه كتاب القدر، وقد نقل عن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، كلام كثير يبين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، ويقيم الحجة على أهل البدع والأهواء كأهل الكلام ونحوهم.

أما صاحب الراية والمتقدم على بقية الأئمة في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة

والمدافع عنها والمتحمل في سبيل ذلك الأذى والمحن، فهو الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) وله عدة كتب خاصة في العقيدة، إلى جانب ما دونه في «مسنده»[1].

ومن أهم الكتب التي ألفها الإمام أحمد في مجال العقيدة:

١- السنة.

٢- الإيمان.

٣- الرد على الزنادقة والجهمية.

٤- فضائل الصحابة.

كما أن له مسائل في العقيدة دونها تلاميذه عنه.

ومن أئمة الحديث الذين دونوا السنة النبوية وأفردوا في صحيحهم أبوابًا هامة في العقيدة الإمام البخاري رحمه الله تعالى (ت ٢٥٦ هـ). ففي صحيحه: كتاب الإيمان وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكتاب التوحيد.

كما أن له كتبًا مستقلة أخرى أفردها في بيان العقيدة الصحيحة، والرد على مخالفيها وأهم هذه الكتب:

١- كتاب الاعتصام والسنة.

٢- خلق أفعال العباد.

ثم يأتي دور الإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ) الذي خصص أبوابًا في صحيحه لتقرير العقيدة الصحيحة، والرد على من خالفها، ومن ذلك: كتاب الإيمان، وكتاب القدر. وكذلك فعل الإمام الترمذي (ت ٢٧٩ هـ).

أما الإمام ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ)، فقد افتتح سننه بمقدمة ذكر فيها الرد على من خالف السنة، وعقيدة السلف الصالح.

وفعل مثله الإمام أبو داود (ت ٢٧٥ هـ)، حيث جعل في آخر سننه، كتابًا أسماه

---

(١) شرح «وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق»، ص (٢٧٩، ٢٨٠).

« كتاب السنة » ردَّ فيه على أهل البدع بمختلف طوائفهم وفرقهم.

ومن علماء الحديث الذين ردوا على المخالفين في ضمن مؤلفاتهم الإمام الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) في بداية سننه.

وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) في مصنفه، وابن أبي شيبة (ت ٣٢٥ هـ) في مصنفه أيضًا.

كما أن لابن أبي شيبة كتابًا مفصلاً اسمه الإيمان[1].

أما الكتب الخاصة المؤلفة في عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على مخالفيها فهي كثيرة جدًا، ولا يكاد يخلو عصر من العصور إلا ونجد فيها عالمًا من العلماء الأفذاذ يصنف كتابًا في ذلك، ابتداءً من القرون الفاضلة إلى يومنا هذا.

ومن أشهر العلماء الذين لهم مؤلفات في هذا الباب إلى أواخر القرن الرابع الهجري تقريبًا.

وليس القصد الاستقصاء والحصر، وإنما القصد إيراد الأمثلة على اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح وتدوينها، ومن أشهر هؤلاء العلماء، وأشهر مصنفاتهم في هذا الباب:

١- محمد بن يحيى العدني (ت ٢٧٢ هـ) وله كتاب الإيمان.

٢- أبو بكر بن الأشرم (ت ٢٧٢ هـ) وله كتاب السنة.

٣- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، وله الرد على الجهمية، وتأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث.

٤- عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٢ هـ)، وله كتابان:

أ-الرد على الجهمية « مطبوع ».

ب-الرد على بشر المريسي « مطبوع ».

---

(١) انظر: « وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق »، للدكتور جمال أحمد بادي ص (٢٨١، ٢٨٢).

٥- ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ)، وله كتاب السنة «مطبوع».

٦- عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠ هـ)، وله كتاب السنة.

٧- محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤ هـ) وله كتابان:

أ- السنة «مطبوع».

ب - تعظيم قدر الصلاة، وقد ذكر فيه مسائل تتعلق بالإيمان، وردَّ فيه على بعض الفرق المنحرفة «مطبوع».

٨- الإمام الطبري (ت ٣١٠ هـ) وله كتابان:

أ - صريح السنة «مطبوع».

ب- تهذيب الآثار «مطبوع».

٩- ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) وله كتاب التوحيد في إثبات صفات الرب ﷻ.

١٠- الإمام الطحاوي (ت ٣٢١ هـ)، وله كتاب «العقيدة الطحاوية». وقد شرحها ابن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢ هـ) [(١)].

١١- أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤ هـ) وله من الكتب:

أ - الإبانة عن أصول الديانة، وقد حققها أكثر من باحث.

ب- رسالة إلى أهل الثغر.

جـ - مقالات الإسلاميين، وقد ذكر فيها عقيدة أصحاب الحديث مجملة.

١٢- عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، وله كتابان:

أ - أصل السنة.

ب- اعتقاد الدين.

١٣- الحسن بن علي البربهاري (ت٣٢٩ هـ)، وله كتاب «السنة».

---

(١) انظر: «وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق»، ص (٢٨٢، ٢٨٣).

١٤- أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠ هـ) وله كتابان:

أ - الشريعة.

ب- التصديق بالنظر إلى الله تعالى، وهما مطبوعان.

١٥- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصفهاني (ت٣٦٩هـ) وله كتاب العظمة.

١٦- الإمام الدارقطني (ت ٣٥٨هـ)، وله عدة كتب أهمها:

أ- الصفات. ب- أحاديث النزول.

جـ - فضائل الصحابة. د- الرد على نفاة الرؤية.

١٧- الإمام عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، وله من الكتب:

أ - الإبانة الصغرى.

ب- الإبانة الكبرى.

١٨- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة (ت٣٩٥هـ)، وله من الكتب:

أ- الرد على الجهمية. ب- الإيمان.

جـ -التوحيد. د- معرفة الصحابة.

١٩- ابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)، وله كتاب أصول السنة.

٢٠- أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ)، وله كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[1].



(١) انظر: «وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق»، ص (٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥).

المبحث الثاني

قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة

لمنهج أهل السنة والجماعة أصول وقواعد وأسس في التلقي والاستدلال، منها:

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة وحصر التلقي لأحكام الدين وأصوله، وفروعه في هذا المصدر، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وأن لا يعارضهما شيء من المعارضات، لا بمعقول ولا رأي، ولا قياس، ولا ذوق، ولا وجد، ولا مكاشفة، ولا منام، ولا غير ذلك[١].

ومصدر العقيدة عندهم: هو الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح[٢].

ثانيًا: كل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب اعتقاده، وإن كان آحادًا [٣].

السنة الصحيحة الثابتة حجة، ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بحديث رسول الله ﷺ فقاموا بتدوينه وميزوا بين صحيحه وضعيفه، وأفردوا مصنفات خاصة بالأحاديث الواهية والموضوعة، ونبهوا الناس إليها وكتبوا الكتب التي تخدم السنة وتبينها وتوضحها وتنقيها[٤].

ثالثا: العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعيًا منها أبدًا، وعند توهم التعارض يُقدم النقل.

رابعًا: الأدلة الشرعية قد تكون سمعية، وقد تكون عقلية نبه عليها الشارع[٥].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» جـ (١٣/ ٨، ٢٩، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٥) جـ (١٦/ ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٤٧١).

(٢) انظر: «مجمل أصول السنة والجماعة في العقيدة للعقل»، ص (٧).

(٣) انظر: «مجمل أصول السنة والجماعة في العقيدة»، للعقل، ص (٧).

(٤) انظر: «لزوم الجماعة وترك التفرق»، لجمال بادي، ص (٢٦٢، ٣٦٣).

(٥) انظر: «درء تعارض العقل»، (١/ ١٩٨)، «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٣٧ - ١٣٨).

خامسًا:التزام النص وطرح التأويل، فالأصل عند أهل السنة هو الأخذ بظاهر الألفاظ، وما دلت عليه من الحقيقة(١).

والقرآن نزل بلغة العرب، ومن أراد أن يفهمه فمن جهة لسانهم يفهم(٢).

ولذلك فهم يلتزمون بالألفاظ الشرعية في العقيدة ويجتنبون الألفاظ البدعية كالألفاظ التي عند الفلاسفة وعلماء الكلام.

وكذلك لا يستعملون الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى، أما إذا استعملها غيرهم من أهل البدع فإنهم يستفسرون منهم عمَّا أرادوه باستعمالها، فما كان من حق أقروه، وما دلت عليه من باطل ردوه(٣).

يقول ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله -: «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة»(٤).

سادسًا: الجمع بين أطراف الأدلة، وذلك يرجع إلى القرآن كله، وإلى السنة كلها قبل تقرير أي حكم أو مسألة، وأن لا يضرب كتاب الله بعضه ببعض كما حذر النبي ﷺ، ومن أمثلة هذا الأصل: الجمع بين نصوص الوعد، والوعيد، والجمع بين أحاديث الشفاعة، وما ورد في فضل كلمة الإخلاص، وبين الأحاديث التي دلت على شروطها(٥).

سابعًا: الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة، لأنهم أعلم الناس بمعرفة مراد الله ورسوله ﷺ، فقد عاصروا التنزيل، وتربوا على يد الرسول ﷺ ولازموه وخبروا أقواله وأحواله، وكانوا أفصح لسانًا فبلغتهم نزل القرآن الكريم، وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم، وشهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية والأفضلية، فواجب على

(١) انظر: «الصواعق المرسلة»، لابن القيم (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٦١- ٦٤)، وانظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٢٩٣- ٣٠١).

(٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص (٢١٨، ٢٢٣).

(٤) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ص (١٠٧)؟

(٥) «معارج القبول» (١/ ٣١٥ - ٣٢٠).

من جاء بعدهم إلى يوم القيامة الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، والسير على نهجهم[١].

ثامنًا: «العصمة ثابتة للرسول ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة: وأما الأفراد فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة، مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة»[٢].

تاسعًا: في الأمة محدثون ملهمون، والرؤيا الصالحة حق، والفراسة للمؤمن ثابتة، وتعتبر الرؤيا الصالحة والفراسة الصادقة من المبشرات والكرامات بشرط عدم مخالفتها للشريعة، وليست مصدرًا للعقيدة ولا للتشريع.

عاشرًا: المجادلة بالحسنى في بيان الحق مطلب شرعي، والمراء منهي عنه وما صح الإمساك فيه وجب الإمساك عنه، وتفويض علمه إلى الله.

الحادي عشر: البدعة لا ترد البدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، ولكن يجب الالتزام بمنهج الوحي في الردّ، كما يجب في الاعتقاد.

الثاني عشر: «كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[٣].

الثالث عشر: يردون المتشابه إلى المحكم[٤].

المبحث الثالث

النظرة الصحيحة لدور العقل عند أهل السنة

والعقل السليم عند أهل السنة هو الذي يرضى ويطمئن ويقدر ويشعر بعظمة الله تعالى، وهو الذي يفكر ويتدبر في مخلوقات الله العظيمة المبثوثة في هذا الكون الفسيح ويتأمل فيما أودع الله في هذا الكون والمخلوقات.

---

(١) «الفتاوى» لابن تيمية (١٣/ ٢٣- ٢٧).

(٢) «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة» ص (٨).

(٣) انظر: «مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة»، للعقل ص (٩،٨).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٧٠، ٣١٤).

وأهل السنة لا يلقون العقل جانبًا كما هو مفهوم عند الكنيسة، فالبحث العقلي ليس مذمومًا على الإطلاق، إنما يذم إذا اكتفي به عن الأدلة الشرعية وقدم عليها غيرها أو عارض نصوص الدين.

كما أن العقل السليم لا دخل له في مجال الغيب في أمور العقيدة السمعية، أما أبحاث العقيدة التي يستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته والبعث والجزاء، فقد طالب القرآن العقل البشري أن يهتدي إليها، فهي أدلة تدعم النصوص وتزيد في تثبيت الاعتقاد، ولهذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى الآيات الكثيرة التي تحث العقل البشري على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر.

إن فتح المجال أمام العقل البشري لينطلق في مجالات الكون فيذلل الصعاب ويرشد الإنسان إلى طَرْق باب الحضارة مما يعود على البشرية بالخير العميم، إن سير العقل في هذا الاتجاه أمر حسن جميل، بل هو طريقه الطبيعي ومساره الاعتيادي، أما أن يسمح للعقل أن يتدخل في مجالات الغيب ويلاقي منا كل تشجيع واستحسان فهذا خطأ فادح وحماقة كبرى ترتكب في حق حاضر الإنسان ومستقبله وإهانة صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق في مسارب لا دخل له بها، هذه هي النظرة الصحيحة لدور العقل السليم عند أهل السنة، بل نعتقد أنه من النعم العظيمة التي يعجز عن شكرها أن يكون العقل مستنيرًا بالكتاب والسنة، ويسترشد بهما على فهم أحكام دينه سواء عقيدية أو عبادية أو أخلاقية أو من المعاملات[1].

المبحث الرابع

الأدلة على وجوب اتباع أهل السنة ولزوم منهجهم

من القرآن الكريم:

والآيات في ذلك كثيرة منها:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

(١) انظر: «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ١٥، ١٦، ١٧).

وامتدح الله تعالى السابقين من المهاجرين والأنصار، ومن اقتفى آثارهم، وكان على هديهم، وبين أنهم ﷺ قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

من السنة:

والأحاديث الواردة عن الحبيب المصطفى ﷺ في وجوب اتباع أهل السنة كثيرة، منها: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[١].

ومن حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: قال ﷺ: «**فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٢]. فأمر النبي ﷺ أمته بأن يتبعوا سنته ومن بعده من الخلفاء الراشدين، وذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق.

كما جاء وصف الفرقة الناجية في حديث الافتراق قول النبي ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[٣].

من أقوال أهل السنة:

ولأهل السنة آثار طيبة مباركة في دراستها حياة للقلوب، ومعرفة للسلف الصالح في تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وإليك بعضها:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم»[٤].

وقال أيضًا: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[٥].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩).

(٢) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والدارمي (١/٤٤).

(٣) أبو داود كتاب «السنة» رقم (٤٥٩٦) جـ ٤، ص (١٩٠٧).

(٤) الإمام أحمد (٢/ ١١٠).

(٥) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (١٥٥، ١٠٦).

وعنه أيضًا: «من كان منكم متأسيًا فيلتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم: فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»(١).

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقِف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»(٢).

وقيل لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من كلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»(٣).

المبحث الخامس

طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم

شاع عند المتأخرين من المتكلمين أن طريقة السلف أسلم وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم، ومن هنا قال من قال من النفاة: إن طريقة الخلف أعلم وأحكم، وطريقة السلف أسلم، لأنه ظن أن طريقة الخلف فيه معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعنى نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم، علمٍ بمعقول، وتأويل لمنقول، وليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيها - أيضًا- رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده أحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم تلك النصوص لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم، لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معانٍ، فتفسيره ببعضها دون البعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن تلك سلامة من هذه المخاطرة.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر (٢/ ٩٧).

(٢) «الآجري» في الشريعة (٥٨).

(٣) «صون المنطق من الكلام» للسيوطي، ص (٣٢، ٣٣٢).

فلو كان قد بُين وتبيَّن لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، تدبره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول، علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبره الرسول ﷺ طريقة باطلة شرعًا وعقلاً، وإن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من صفات، فقد قال غير الحق: إما عمدًا وإما خطأ، وهؤلاء النفاة هم كذابون: إما عمدًا، أو خطأ على الله وعلى رسوله، وعلى سلف الأمة وأئمتها، كما أنهم كاذبون إما عمدًا وإما خطأ على عقول الناس، وعلي ما نصبه الله تعالى من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية[1].

وإذا تأملت حال من قال: إن السلف طريقتهم أسلم، وإن الخلف أعلم وأحكم، تجد أن المتأخرين لم يمتازوا عن الخلف لا بعلم ولا بحكمة، وإنما امتازوا بالتكلف، أما السلف فطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

ومن آتاه الله علمًا وإيمانًا، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم أن مذهب السلف دائمًا أرجح من قول من بعدهم[2].

الأدلة من القرآن الكريم على أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسط: «الخيار والعدل، فالصحابة خير أمة، وأعدلها في أقوالها وأعمالها وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة»[3].

---

(١) انظر: «منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد»، جـ ٢، ص (٥١٢، ٥١٣).

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب «الإيمان» بتصرف، ص (٤١٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧٥، ٢٧٦).

ودليل السنة:

قال رسول الله ﷺ : «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**»[(١)].

ولابن القيم كلام في معنى الوسطية، قال ابن القيم: «وهذه الخيرية دين وعلم وفضل، فلا يجوز أن تخلو هذه العصور الفاضلة من الحق والصواب، حتى يكون فيمن بعدهم من أهل القرون المفضولة من يعلمه، لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيرًا من القرون الفاضلة، ولو في هذا الوجه، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه، بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير»[(٢)].

دليل الإجماع على أن طريق السلف أعلم وأحكم:

وإليك - أخي المسلم - اتفاق أهل السنة والجماعة على أن طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم: حكى شيخ الإسلام اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على:

«أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة من علم وإيمان وعقل ودين، وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان بكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا مكابر»[(٣)].

ولعل ما ذكرته من شرح مبسط، وأدلة قاطعة من الكتاب والسنة والإجماع، فيه الكفاية والبركة في كون منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم.



---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٤٤) فتح الباري كتاب «الرقائق»، باب زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم (٦٤٢٩).

(٢) انظر: «إعلام الموقعين» «٤/ ١٣٦».

(٣) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

الباب الثاني

أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات
وبيان معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات
والأسس التي قام عليها، وطائفة من أقوال السلف
وبيان أقسام الصفات، وأهم القواعد في باب الأسماء والصفات

الفصل الأول: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول- أهمية معرفة الأسماء والصفات.

المبحث الثاني- بيان معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث- الأسس التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات.

المبحث الرابع- معنى قول أهل السنة من غير تحريف.

الفصل الثاني: وفيه طائفة من أقوال السلف.

الفصل الثالث: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول- إثبات صفة الكمال لله سبحانه وتعالى من خلال سورة الإخلاص.

المبحث الثاني- تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية.

المبحث الثالث- أفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي.

المبحث الرابع- الفرق بين صفات الذات والفعل.

الفصل الرابع: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول- في بعض الصفات الذاتية.

المبحث الثاني- في بعض الصفات الفعلية.

المبحث الثالث- في بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة.

المبحث الرابع- الله منزه عن كل صفة نقص.

الفصل الخامس: في بعض القواعد للأسماء والصفات.

الفصل الأول

المبحث الأول

أهمية معرفة توحيد الأسماء والصفات

ضرورة من ضروريات التوحيد تدبر أسماء الله وصفاته وإعطاؤها الحق اللائق: «لأن تدبر أسماء الله وصفاته وفهمها على مراد الله منها من أهم الأمور وأجلها، وذلك لما في هذا العمل من الفوائد العظيمة، والثمار النافعة، لذلك اشتغل علماء الإسلام قديمًا وحديثًا في بيان أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وشرحها وإيضاحها، والرد على من أنكرها أو أنكر بعضها، وألفوا في ذلك مؤلفات عديدة»[1].

وهذا التوحيد هو شطر باب الإيمان بالله تعالى، والمعلوم عند الدارسين أن التوحيد نوعان:

التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

التوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له وتجديد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربًّا وإلهًا ووليًّا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين في سورتي الإخلاص والكافرون في قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]. فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه عنه من النقائص والأمثال. وسورة﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]. المتضمنة للتوحيد العلمي والإرادي، وفيها إيجاب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه.

ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخر، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في

---

(١) «توضيح العقيدة» للسعدي ص (١٠٠).

سنة الفجر والمغرب،والوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته، ليكون مبدأ النهار توحيدًا وخاتمته توحيدًا[١].

وهذا العلم من أشرف العلوم وله الأهمية والأولوية في معرفته على سائر العلوم حتى يعرف العبد ربه من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

ويقول **الشيخ ابن القيم** – رحمه الله تعالى – في ذلك كلام نفيس: «وتوحيد الأسماء والصفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق، فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله من أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات»[٢].

يقول ابن العربي المالكي – رحمه الله –: «شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف المعلومات»[٣]

أولاً: وتوحيد الأسماء والصفات حياة القلوب. وللشيخ السعدي – رحمه الله – في أهمية هذا العلم كلام نفيس أيضًا، أنقل منه في بحثي هذا مع الاختصار للفائدة، قال الشيخ السعدي – رحمه الله تعالى– : «إن هذا العلم المتعلق بالله تعالى من أشرف العلوم وأجَلِّها على الإطلاق، فالاشتغال بفهمه والبحث عنه اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب».

ثانيًا: أن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وفي فهم معانيها.

ثالثًا: أن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فالاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له العبد، وقبيح بعبد لم تزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيمًا من كل وجه أن يكون جاهلاً بربه معرضًا عن معرفته.

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، بتصرف ص (٣٥– ٣٦).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٦).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/٩٩٣).

ومعرفة العبد لربه طريقه لزيادة الإيمان، وذلك بالتدبر في صفاته وأسمائه من القرآن، والطريق في ذلك إذا مر به اسم من أسماء الله أن يثبت له ذلك المعنى وكمال عمومه وينزهه عما يضاد ذلك»[١].

وقد توسع **السعدي** – رحمه الله تعالى – في بيان أهمية هذا العلم فقال: «إن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، ولذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله، فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة، وهذا العلم أعظم وأشرف من أن أبينه لوضوحه»[٢].

توحيد الأسماء والصفات من أعظم الضروريات:

إن النفوس لفي حاجة ملحة لمعرفة ربها ومليكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين، ولا صلاح لها ولا ذكاء إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، وكلما كان العبد أعرف بأسماء ربه وصفاته وما يستحقه من صفات الكمال وما يتنزه عنه مما يضاد ذلك، كان أعظم إيمانًا واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته»[٣].

قال الشيخ عمر الأشقر: «ومعرفة أسماء الله وصفاته التي تليق بجلاله وعظمته، يجدها العبد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ »[٤].

ومن فوائد هذا العلم: «التعرف على الله سبحانه وتعالى، وتمجيده والثناء عليه بأسمائه وصفاته، ودعاؤه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته»[٥].

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٢٤، ٢٥، ٢٦).

(٢) «تفسير السعدي» (١/٢٦).

(٣) «المواهب الربانية» للسعدي، بتصرف (٦١/٦٢).

(٤) ، (٥) «العقيدة في الله»، لعمر الأشقر (١٩٣، ١٩٤).

المبحث الثاني

بيان معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته

معتقد السلف في أسماء الله وصفاته هو أنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتًا ونفيًا، فهم بذلك:

يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

ويثبتون لله ﷻ ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فالسلف سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبل الإثبات فيجب بذلك إثباتها. وأما النفي فهو أن ينفي عن الله ﷻ كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي[1].

المبحث الثالث

الأسس التي قام عليها معتقد السلف في باب الأسماء والصفات

ارتكز معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسية هي:

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتًا ونفيًا.

---

(١) انظر: «دراسات في مباحث الأسماء والصفات»، للتميمي ص (٤٧).

الأساس الثاني: تنزيه الله جلَّ وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات[1].

وهذه الأسس العظيمة مهمة جدًا لطالب العلم، وبها تتفتح أبواب مغلقة للعبد في معرفة أسماء الله وصفاته، ومن خلالها يتميز عن أهل التعطيل، والله الهادي إلى صراطه المستقيم، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

المبحث الرابع

معنى قول أهل السنة من غير تحريف ولا تعطيل
وقولهم من غير تكييف ولا تمثيل

أولاً: معنى قولهم: من غير تحريف ولا تعطيل:

هذه العبارة فيها تمييز عقيدة أهل السنة عن عقيدة أهل التعطيل.

(أ) معنى التحريف وبيان أنواعه[2]:

التحريف في اللغة: التغيير والتبديل والإمالة.

فهو مأخوذ من قولهم حرفت الشيء عن وجهه إذا أملته وغيرته.

والتحريف شرعًا: الميل بالنصوص عما هي عليه، إما بالطعن فيها بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها.

أو نقول بعبارة مختصرة: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره[3].

---

(١) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص (٢٥).

(٢) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص (٥٠).

(٣) «الصواعق المرسلة» (١/٢١٥).

والتحريف في باب الأسماء والصفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله[١].

أنواع التحريف:

النوع الأول– تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن وجهته إلى غيرها وله أربعة صور:

١– الزيادة في اللفظ.

٢– النقصان في اللفظ.

٣– تغيير حركة إعرابية.

٤– تغيير حركة غير إعرابية[٢].

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. من الرفع إلى النصب وقال: ﴿وكلَّم اللَّهَ ﴾ أي موسى كلم الله، و لم يكلمه الله، ولما حرفها الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد فكيف تصنع بقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فبهت المحرف.

النوع الثاني– تحريف المعنى:

وتعريفه: «هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ»[٣].

ومن أمثلة تحريف المعنى:

قول «المعطلة» في معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] استولى، وفي معنى المجيء في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]. وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود فهم الراسخون فيه وهم شيوخ المحرفين وسلفهم فإنهم حرفوا كثيرًا من ألفاظ التوراة، ولما غلبوا

---

(١) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٥٠).

(٢) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٥١).

(٣) «الصواعق المرسلة» (١/٢٠١).

عن تحريف لفظه حرفوا معناه ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ثم سلك ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم القذة بالقذة، وكذلك الجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم اليهود[1].

(ب) معنى التعطيل:

التعطيل لغة: مأخوذ من «العطل» الذي هو الخلو والفراغ والترك، منه قوله تعالى: ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ [الحج: ٤٥]. أي أهملها أهلها وتركوا وردها[2].

والتعطيل من جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية والملاحدة.

القسم الثاني: تعطيل عبادته ﷻ أي ما يجب له ﷻ على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئًا من العبادة لغير الله ﷻ.

القسم الثالث: تعطيل صفات الله سبحانه ونفي كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله[3].

والقسم الثالث معناه نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذات الله تعالى[4].

وقد وقع في التحريف والتعطيل طوائف يجمعهم أهل العلم تحت مسمى «المعطلة».

وينقسم المعطلة إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول- الفلاسفة وهما صنفان:

الصنف الأول- أهل الفلسفة البحتة.

الصنف الثاني- أهل الفلسفة الباطنية وهم نوعان:

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/٢١٥- ٢١٦).

(٢) «شرح الواسطية» ص (٢٠).

(٣) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ص (١٥٣).

(٤) «شرح الواسطية» ص (٢٠).

(أ) رافضية.

(ب) صوفية.

والقسم الثاني: من المعطلة هم: أهل الكلام وهم خمسة أصناف:

(أ) الجهمية.

(ب) المعتزلة.

(جـ) الكلابية.

(د) الأشاعرة.

(هـ) الماتريدية[١].

ثانيا: معنى قولهم: «من غير تكييف ولا تمثيل»:

هذه الجملة فيها تمييز عقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة «فالتكييف» هو: «جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيدها بمماثل»[٢].

ومعنى قول أهل السنة «من غير تكييف»: «أي من غير كيف يعقله البشر، وليس المراد أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، والمقصود بالقول السابق، أي لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه»[٣].

فمن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته ﷻ لأنه تعالى أخبرنا عن الصفات و لم يخبرنا عن كيفيتها، وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك - رحمه الله-:

«الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، قاعدة ساروا عليها في هذا الباب»[٤].

---

(١) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٥٥).

(٢) «القواعد المثلى» ص (٢٧).

(٣) شرح «العقيدة الواسطية» ص (٢١).

(٤) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٥٧).

ولا تمثيل: المثيل لغة: هو الند والنظير.

والتمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين. وهو كقول الممثل له يد كيدي وسمع كسمعي تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

والتمثيل والتشبيه هنا بمعنى واحد، وإن كان هناك فرق بينهما في أصل اللغة[1].

فالمماثلة: هي مساواة الشيء لغيره من كل وجه.

والمشابهة: هي مساواة الشيء لغيره في أكثر الوجوه.

ولكن التعبير هنا «التمثيل» أولى لموافقة لفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

وقد وقع في التمثيل والتكييف «المشبهة» الذين بالغوا في إثبات الصفات إلى درجة تشبيه الخالق بالمخلوق[2].



(١) انظر: «القواعد المثلى» ص (٢٧).

(٢) انظر: «منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات» ص (٥٨).

الفصل الثاني

طائفة من أقوال السلف في الأسماء والصفات

وبعد أن أجملت معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات وبينت الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة إجمالاً، رأيت من المناسب في بحثي هذا، أن أذكر بعض أقوال علماء أهل السنة والجماعة على مر العصور، استرشادًا بها وتقوية للبحث، وإقناعًا لمن يرى غير طريق السلف وتخيرت أئمة من السابقين ومن نهج نهجهم من اللاحقين، واتضح أن أقوال السلف عليها نور القرآن، ونور السنة، ونور الفطرة، ونور العقل الراجح الرزين الذي لا يتقدم على كتاب رب العالمين ولا سنة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فوجدت بحرًا زاخرًا، مليئًا بالعلم والحكمة، فتخيرت من أقوالهم ما ناسب بحثي، وقوَّى حجتي، فيما أنا أصبو إليه وأتطلع إليه، وقع اختياري على الإمام الشافعي، وأحمد، وأبي بكر الآجري، وابن خزيمة، وابن تيمية، والخطيب البغدادي، والأصبهاني،والإمام ابن عبد البر، وابن القيم، وابن رجب الحنبلي وغيرهم قليل[١]، ومن المعاصرين: عبد الرحمن السعدي، وعبد المحسن العباد، وأسأل الله أن أكون قد وفقت للاختيار، وإليك أخي القارئ طائفة من أقوالهم في الصفحات القادمة.

قول الشافعي والإمام أحمد في الصفات

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله وعلى مراد رسول الله ﷺ»[٢].

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ في قول النبي ﷺ: «**إن الله ينزل**

(١) كذا بالأصل، والصحيح «كثير».

(٢) «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، لابن قدامة (٣٧).

إلى السماء الدنيا»[١]. وإن الله يُرى في القيامة. وما أشبه هذه الأحاديث.

نؤمن بها، ونصدق بها، لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها نعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسوله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية.

ونقول كما قال، ونصف[٢] بما وصف به نفسه لا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن.

قول الآجري - رحمه الله تعالى - في الصفات

وقال الشيخ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتابه الشريعة: «اعلموا – وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل – : أن أهل الحق يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه ﷻ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه كيف؟ بل التسليم به، والإيمان به»[٣].

قول الشيخ إسماعيل الصابوني في الصفات

وقال الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني المتوفى (٤٤٩): «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله، وشهد له بها رسوله على ما وردت به الأخبار الصحاح، ونقله العدول الثقات ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، ولا يكيفونها تكييف المشبه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنويه[٤]، وتركوا العقول بالتعطيل

---

(١) البخاري، كتاب «التهجد»، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، جـ ٢ ص (٦٦).

(٢) كذا بالأصل، ولعلها «نصفه».

(٣) «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد»، لابن قدامه (٣٥).

(٤) كذا بالأصل، ولعلها «التنزيه».

والتشبيه، واكتفوا بنفي النقائص[١] بقوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وبقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

قول ابن خزيمة - رحمه الله تعالى - في الصفات

نقلاً عن كتاب أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات للكرمي، قال: «سئل الإمام ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات فقال: ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب أئمة الدين، مثل: مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون أصحابهم عن الخوض فيه، ويدلونهم على الكتاب والسنة»[٢].

وأعجبني أثر نقله اللالكائي في كتابه العظيم المعروف بالسنة: أن أحمد بن حنبل سمع شخصًا يروي حديث النزول ويقول: «ينزل بغير حركة ولا انتقال، ولا تغير حال» فأنكر أحمد ذلك وقال: «قُلْ كما قال رسول الله ﷺ، فهو كان أغير على ربه منك»[٣].

قول الخطيب البغدادي في الصفات

قال رحمه الله تعالى: «أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها من السنن والصحاح مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف والقصد، إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي والمقصر عنه»[٤].

---

(١) نقلاً عن كتاب «المنطق»، لابن تيمية ص (٤).

(٢) «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» ص (٦٢).

(٣) «السنة»، للالكائي (٣/٤٥٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٨٣- ٢٨٤).

قول الإمام ابن عبد البر

قال - رحمه الله تعالى -: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدُّون فيه صفة محصورة»(١).

قول الإمام إسماعيل الأصفهاني

قال - رحمه الله تعالى- : «جاءت الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله تعالى موافقة لكتاب الله تعالى، ونقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة والإيمان به والتسليم، وترك التمثيل والتكييف وأنه ﷻ أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه، أو وصفه الرسول ﷺ بها، فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحدًا، ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائه غير باقية، وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته، ودعا عباده إلى مدحه بذلك وصدق به المصطفى ﷺ، وبين مراد الله فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهومًا عند العرب غير محتاج إلى تأويله»(٢).

مقتطفات من أقوال ابن تيمية في الأسماء والصفات

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «أما المتبعون للكتاب والسنة من الصحابة والتابعين فهم متفقون على دلالة ما جاء به الشرع في باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته»(٣).

وقال في «منهاج السنة»: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا

(١) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٦٩).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٩٢).

مــا العــلم نصــبك لــلخلاف سفاهة ... بــين الرســول وبــين رأي فــلان

كــلا ولا جحــد الصــفات لربــنا ... في قالــب التــنزيه والســبحان

كــلا ولا نفــي العلــو لفاطــر الأكوا ... ن فــوق جمــيع ذي الأكــوان

كــلا ولا عــزل النصــوص وإنهــا ... ليســت تفــيد حقــائق الإيمــان

إذ لا تفــيدكم يقيــنًا لا ولا ... عــلمًا فقــد عزلــت عــن الإيقــان

والعــلم عــندكم يــنال بغيرهــا ... بــزبالة الأفكــار والأذهــان[1]

وقال أيضًا ابن القيم - رحمه الله-: «انقضى عصر الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المطلق خاصًّا بما جاء في الكتاب والسنة عن الذات الإلهية وصفاتها، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة النبوية كلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسعوها تأويلاً ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً»[2].

قول ابن رجب في الصفات

قال رحمه الله تعالى: «والصواب ما عليه السلف الصالح من أمر آيات الصفات وأحاديثها، كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف، ولا تمثيل ولا يصح من أحد منهم خلاف ذلك البتة، خصوصًا الإمام أحمد، ولا خوض في معانيها، ولا ضرب مثل الأمثال لها، وإن كان بعض من كان قريبًا من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئًا من ذلك فلا يقتدي بهم في ذلك، إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك، ومالك، والثوري، والأوزاعي،والشافعي، وأحمد، وأبي عبيد ونحوهم»[3].

---

(١) «شرح القصيدة النونية»، لابن القيم (٢/١٥٢).

(٢) «إعلام الموقعين» (١/٤٩).

(٣) «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب، بتصرف ص (٤٥- ٤٦).

قول عبد الباقي الحنبلي في الصفات

قال الشيخ عبد الباقي الحنبلي - رحمه الله - في كتابه «العين والأثر في عقائد أهل الأثر»: «يحرم تأويل ما يتعلق به تعالى وتفسيره كآية الاستواء، وحديث النزول وغير ذلك من آيات الصفات، إلا بصادر عن النبي ﷺ، أو بعض الصحابة، وهذا مذهب السلف قاطبة، فلا نقول في التنزيه كقولة المعطلة، بل نثبت ولا نحرف، ونصف ولا نكيف، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فمذهبنا حق بين باطلين، وهدى بين ضلالتين، وهو إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات»(١).

قول حافظ أحمد الحكمي في الصفات

قال الشيخ - رحمه الله تعالى-: «وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال، من صفات الذات وصفات الأفعال، مما تضمنته أسماؤه بلا اشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها، ومما خبر به عن نفسه وأخبرها عنه رسوله ﷺ، ولم يشتق منه اسمًا كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائه عن عباده المؤمنين، ورضي لهم الإسلام دينًا، وكراهته انبعاث المنافقين، وسخطه على الكافرين، وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالإنفاق وغير ذلك، مما هو ثابت بالكتاب والسنة والفطرة السليمة»(٢).

وقال الشيخ حافظ الحكمي أبياتًا جميلة:

وكـــل مـــا له مـــن الصـــفات ... أثبـــتها في محكـــم الآيـــات
أوصـــح فـــيما قالـــه الرســـول ... فحقـــه التســـليم والقـــبول(٣)

---

(١) «العين والأثر في عقائد أهل الأثر» ص (٣٥- ٣٦).

(٢) «معارج القبول» (١/١٢٩).

(٣) «معارج القبول» (جـ ١/ ٣٤٦).

وقال أيضًا:

نُمِـــرُّها صـــريحةً كمـــا أتـــت ... مـــع اعـــتقادنا لمـــا له اقتضـــت

مـــن غـــير تحـــريف ولا تعطـــيل ... وغـــير تكيـــيف ولا تمثـــيل

بـــل قولـــنا قـــول أئمـــة الهـــدى ... طـــوبى لمـــن بهديهـــم قـــد اهـــتدى[1]

قول الشيخ السعدي في الأسماء والصفات

قال السعدي – رحمه الله –: «اعتقاد انفراد الرب جلَّ جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله»[2].

قول عبد المحسن العباد في هذا الباب

قال الشيخ عبد المحسن – حفظه الله–: «المذهب الحق وسط بين الطرفين في قضية الإثبات، فلا نفي ولا تأويل، وفيه التنزيه فلا تشبيه ولا تمثيل، وكل من المشبهة والنفاة جمعوا بين إساءة وإحسان».

فالمشبهة: أحسنوا إذ أثبتوا فلم ينفوا الصفات، وأساءوا إذ شبهوا ومثلوا.

وأهل السنة والجماعة جمعوا بين الحُسْنَيَيْن وسلموا من الإساءتين، فإحسان الذي عند الطرفين عندهم، وليس عندهم ما عند كل من الإساءة وذلك أنهم أثبتوا ما أثبت في

---

(١) «معارج القبول» (جـ ١/ ٣٥٦).

(٢) «القول السديد» ص (١٥).

الكتاب والسنة من الصفات، ونزهوا الله عن مشابهة خلقه كما قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. فأول الآية تنزيه وآخرها إثبات.

«فمثل هذا المذهب الحق بالنسبة إلى الطرفين المتقابلين كاللبن السائغ الخالص السائغ للشاربين الذي يخرج من بين فرث ودم»[1].



(... ن حديثًا من صحيح مسلم (١٧٧- ١٧٨).

الفصل الثالث

تفصيل الصفات الإلهية

المبحث الأول

إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى

من خلال «سورة الإخلاص»

قد ورد في القرآن وصف الله بصفات الكمال وأنه المنفرد بها وحده دون ما سواه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص].

ففي هذه السورة وصف الله سبحانه نفسه بأنه أحدٌ صمد، فهذان الوصفان يدلان على اتصاف الله بغاية الكمال المطلق[١].

وذكر أبو هريرة ﷺ في معنى الصمد: «أنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد»[٢].

ومن خلال قول أبي هريرة ﷺ في معنى الصمد يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه، أي: يرجع إليه في كل أمر، وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء، والفعال لما يريد، والذي بيده الخلق والأمر والجزاء، وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها، فالمرجع والمرد إليه سبحانه[٣].

(١) «علو الله على خلقه»، بتصرف ص (٢٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (جـ ٢٠/ ٢٤٥).

(٣) «علو الله على خلقه»، بتصرف ص (٢٨/ ٢٩).

وأما التنزيه: فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء، فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده، فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الذي لم يلد و لم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يُطْعِمْ ولا يُطْعَم ولا في أفعاله فلا شريك له ولا ظهير»[1].

كما أن وصفه سبحانه بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق، فكذلك يدلان على معنى آخر وهو نفي الولادة والتولد عن الله سبحانه، فإن الصمد جاء في بعض الأقوال بأنه الذي لا جوف له، ولا أحشاء، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨].

فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة.

والتولد إنما يكون من شيئين:

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

وفي قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

وفي هذا نفي عن المخلوق مكافأته أو مماثلته للخالق ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً ونظيرًا.

ومثال هذا قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

---

(١) «علو الله على خلقه»، بتصرف ص (٢٨، ٢٩).

أي لا شيء يساميه لا ند ولا عدل ولا نظير له يساويه، فأنكر التشبيه والتمثيل، وبهذا يتبين لنا أن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، كما دلت على ذلك سورة الإخلاص(١).

المبحث الثاني

تقسيم الصفات

تنقسم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية واختيارية.

وهذا المبحث يحتاج إلى نوع من التفصيل والشرح، فأقول: إن الصفات العقلية والخبرية: جاء بها القرآن وتحدثت بها السنة النبوية.

فالصفات العقلية: وهي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر. فالصفات العقلية: هي اتصافه بالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها»(٢).

والصفات الخبرية: وهي التي لا يستطيع العقل إثباتها من غير طريق النص.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في إثبات الصفات عن طريق العقل فصَّلَها وأجاد، وإليك ما قال - رحمه الله تعالى-:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله-: «وقد اتفق النظار من مثبتة الصفات على أنه يعلم بالعقل أن الله سبحانه وتعالى حي عليم قدير مريد، وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل، بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن إثباته بالعقل، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لهم مما يعمل بالعقل، كما أثبته بذلك الأئمة».

ويقول أيضًا: «إن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من أنصار السنة في هذا

---

(١) «علو الله على خلقه»، للدرويش بتصرف ص (٢٨ - ٣٤).

(٢) «علو الله على خلقه»، ص (٥٩، ٦٠، ٦١).

الباب، أنه لو لم يكن موصوفًا بإحدى الصفتين المتقابلتين لَلَزِمَ اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلاً فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها بالكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى»[(١)].

وأما الصفات الخبرية وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه، واليدين، والعين، والقدم، والاستواء على العرش، ونحو ذلك[(٢)].

فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف، ولا تكييف[(٣)] كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وقال نعيم بن حماد الخزاعي[(٤)]: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهٌ»[(٥)].

الصفات الذاتية والفعلية الاختيارية

دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن صفات الباري سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين:

١- **صفات ذاتية**: لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبدًا، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه والقدم[(٦)] وغيرها.

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» (٣/٨٨).

(٢) «علو الله على خلقه»، بتصرف ص (٦٠).

(٣) «علو الله على خلقه» ص (٦١).

(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي شديد الرد على الجهمية، ومن أعلم الناس بالفرائض، مات في السجن أيام محنة القول بخلق القرآن، (ت ٢٨٨ هـ). وقيل: تسع وعشرين، «تهذيب التهذيب» (١/٤٥٨- ٤٦٠- ٤٦٢).

(٥) «العقيدة الواسطية»: شرح الهراس (٢٥).

(٦) «علو الله في خلقه» ص (٦٥).

٢ - **صفات فعلية**: تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحت مشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو سبحانه لم يزل موصوفًا بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته وإرادته، ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير[١].

المبحث الثالث

أفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي

وهذا المبحث لطيف في بيان أن أفعاله منها اللازم والمتعدي.

الاستواء والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول بل هي قائمة بالفاعل.

والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول[٢].

وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩].

فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف بها سبحانه.

كما يجب التنبيه أيضًا إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي صفة ذات وصفة فعل ذلك مثل صفة الكلام، والخلق والرحمة[٣].

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» (١٠٥- ١٠٦).

(٢) «علو الله على خلقه» (٦٦).

(٣) «علو الله على خلقه» ص (٦٦).

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية، قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن الأحاديث ما رواه أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط**»[١].

وحديث أبي هريرة قال: «أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» إلى أن قال: «**فيأتون آدم** ﷺ **فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**»[٢].

ومذهب السلف هو إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية، بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل»[٣].

---

(١) صحيح البخاري (١٧٣/٦) «كتاب التفسير»، «سورة ق» باب قوله تعالى: ﴿وتقول هل من مزيد﴾.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٦/٤) «كتاب التفسير»، باب ﴿ذرية مع حملنا من نوح﴾.

(٣) «علو الله على خلقه» ص (٦٩).

المبحث الرابع

الفرق بين صفات الذات والفعل

السلف الصالح يفرقون بين صفات الفعل، فصفات الذات قديمة لا تتعلق بالمشيئة ولا ضد لها، أما صفات الفعل فهي تتعلق بالمشيئة وكان لها ضد كالرضا والغضب والمحبة[١].

وقد أكد الشيخ عبد الله بابطين - رحمه الله - على أن الصفات بين أهل السنة قسمان، وذلك في تعليقه على لوامع الأنوار البهية، فقال: - رحمه الله - في تعليقه على قول السفاريني: «صفاته كذاته قديمة» ظاهره أن الصفات كلها قديمة كما صرح به في الشرح، وهذا فيه تفصيل، فإن المعروف بين أهل السنة أن صفات الله تعالى قسمان صفات ذاتية كالحياة والعلم، والقدرة، الوجه، واليدين، ونحوها فهذه صفات قديمة بلا ريب، إذ إنها صفات لازمة لله تعالى، وصفات فعلية وهي تتعلق بمشيئته وحكمته، فإن اقتضت حكمته فعلها، وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن وهذا مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة، والكلام، والنزول والاستواء، وغير ذلك من صفات فهذا يكون قديم النوع أو الجنس، وإن كانت آحاده توجد شيئًا وحينًا آخر، ومن المعلوم أنه يوجد الفرق بين صفة الحياة والقدرة مثلاً، وبين صفة الاستواء، فإن الأول لا شك أن الله موصوف به أزلاً وأبدًا - جلَّ وعلا - وأما الاستواء فلم يكن إلا بعد خلق العرش، وكذلك صفة نزوله إلى السماء الدنيا، وإن كانت الصفة الفعلية قديمة الجنس، فلم يزل الله تبارك وتعالى فعالاً لما يريد، فتنبه للفرق بينهما»[٢]



(١) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات، للمغراوي جـ ١، ص (١١٧- ١١٨).

(٢) «لوامع الأنوار البهية»، و«سواطع الأسرار الأثرية» (١/١١٢).

الفصل الرابع

بعض الصفات الذاتية وبعض الصفات الفعلية

المبحث الأول

في بعض الصفات الذاتية

صفة الحياة:

قال البيهقي في إثباتها: «باب ما جاء في إثبات صفة الحياة»[١]، ثم شرع في إيراد مجموعة من الآيات والأحاديث التي اشتملت على إثبات هذه الصفة، فأما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وأما الأحاديث: فمنها حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: : «إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[٢].

ثم بين البيهقي رحمه الله: «إنه إذا أثبت أن الله موجود، ووصف بأنه حي، فقد وصف بزيادة صفة على الذات، وهي الحياة، لأن كل اسم يشتمل إثباته على إثبات الصفة التي يدل عليها، إذ لولا ذلك لاقتصر الله سبحانه وتعالى فيما سمى به نفسه على ما ينبئ عن وجود الذات فقط»[٣].

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات ص (١٦٣).
(٢) مسلم رقم (٢٧١٧).
(٣) البيهقي وموقفه من الإلهيات ص (١٦٣).

صفة العلم:

ثابتة في كتاب الله: وإليك آيات على ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقد ثبتت صفة العلم أيضًا بالسنة النبوية، فمنها:

في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وفيها: «وجاء عصفور فوقع على طرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[(١)]. ونقر العصفور ليس بنقص للبحر، فكذلك علمنا لا ينقص من علمه شيئًا وهذا كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهنَّ فلول من قراع الكتائب[(٢)]

ويقول ابن خزيمة رحمه الله: في قوله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وأخبرنا جلَّ ثناؤه أن أي أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه فأضاف الله جلَّ وعلا إلى نفسه العلم الذي أخبرنا. فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علم مضاف إليه من صفات الذات، تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علوًا كبيرًا[(٣)].

إثبات صفة القدرة:

الآيات الدالة على ذلك معلومة، والأحاديث النبوية غير مجهولة، ومن الآيات الدالة على إثبات صفة القدرة:

---

(١) مسلم (٤/٢٨٤٧) رقم (٢٣٨٠).

(٢) البيهقي وموقفه من الإلهيات ص (١٦٥).

(٣) كتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل»، لابن خزيمة ص (١٠).

قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٥].

ومن السنة المطهرة: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك...**»[1]. وأقوال السلف الصالح في إثباتها معلومة.

إثبات صفة الإرادة:

وصفة الإرادة ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والآيات والأحاديث في بيانها كثيرة جدًا، وإني سوف أقتصر على بعض الآيات الواضحة في ذلك:

قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أما الأحاديث فمنها: حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[2].

والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية كثيرة جدًا في إثبات الإرادة، والإرادة والمشيئة بمعنى واحد، والإرادة التي بمعنى المشيئة هي الكونية، أما الإرادة الشرعية فتختلف عن الإرادة الكونية.

إثبات صفة السمع والبصر:

والآيات في إثبات صفتي السمع والبصر كثيرة، والأحاديث أيضًا، ولذلك نستدل ببعض الآيات، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[غافر: ٥٦].

---

(١) البخاري، «شرح فتح الباري»، رقم (٧٣٩)، جـ ١٣، ص (٣٨٧).

(٢) البخاري، «شرح فتح الباري»، رقم ٧١ (١/١٩٧)، صحيح مسلم رقم ١٠٣٧ (٢/٧١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤].

وأما من السنة: فحديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، لا نصعد شرفًا أو نعلو شرفًا، ولا نهبط في وادٍ إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته..**»[(١)].

وحديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله فإنهم يدعون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم**»[(٢)].

والمعلوم والمقدر[(٣)] عند أهل السنة أن السميع لا يكون إلا بسمع، والبصير لا يكون إلا ببصر كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة، لأن السميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل صدر عنه، وإذا كان صادرًا عن المصدر، كانت الصفة مبنية من الفعل صادرة عنه أيضًا، وهي الضارب، وإذا صح أنَّ السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع.

والدليل على ذلك أيضًا: أنه إذا بطل السمع حصل الصم، وإذا بطل البصر حصل العمى، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع ولا يثبت السمع، سميعًا أصم وبصيرًا أعمى، كما تقول في القدير والعليم، فيبطل الصفات كلها، وتكون ألفاظًا لا معاني لها، ويكون الله تعالى خاليًا عن الصفات والأسماء التي هي صفاته، تعالى الله عما يقول المعطلة علوًّا كبيرًا[(٤)].

والاستطراد الماضي استطراد عقلي في إقامة الحجة على من يزعم أنه من أهل العقول الراجحة، ومن خلال ما قلنا يتضح أن أرجح العقول في إقامة الحجة، واقتناع الخصوم:

---

(١) البخاري، «شرح فتح الباري»، حديث رقم ٧٣٨٦ (١٣/٣٨٤).

(٢) البخاري، كتاب «الأدب» بـ ٧١، «فتح الباري» جـ ١٠ ص (٥٢٧).

(٣) كذا بالأصل ولعلها «المقرر».

(٤) «الحجة في بيان المحجة»، جـ ١، ص (١٣٧، ١٣٨).

هم أهل السنة والجماعة يسترشدون بنور القرآن، وبنور سنة خير الأنام ﷺ، ثم بعد ذلك يستخدمون العقول فيها ولا يخالفون المنقول.

إثبات صفة الكلام:

الكلام صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

والأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

ومن السنة:

قول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي**»[1].

«وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو كلام حقيقي يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة»[2].

والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

وأجد نفسي مضطرًا في صفة الكلام أن أتوسع قليلاً، وأقوي بحثي في هذه المسألة بنقولات عن أئمة السلف رحمهم الله تعالى، ذكر ابن تيمية كلامًا نفيسًا في هذه القضية قال: «فإن السلف وأئمة السنة والحديث يقولون إنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة له قائمة بذاته».

وممن ذكر ذلك القول من أئمة السنة أبو عبد الله بن منده، وأبو عبد الله بن حامد،

(١) أخرجه البخاري معلقًا في صحيحه في فتح الباري (١٣/٤٦٠) وصله ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ص (١٤٦) وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٧).

(٢) «لمعة الاعتقاد» ص (٧٢).

وأبو بكر عبد العزيز، وأبو إسماعيل الأنصاري، وغيرهم، وكذلك أبو عمر بن عبد البر نظير هذا.

وكذلك أئمة السنة: كعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومن لا يُحصى من الأئمة وذكره حرب بن إسماعيل الكرماني، عن سعيد ابن منصور، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم وسائر أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلمًا إذا شاء، وكيف شاء[1].

ويعتقد السلف أن الله تعالى من صفاته صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداء لاتصافه بها، ولا انتهاءً، يتكلم بها بمشيئته واختياره وكلامه تعالى أحسن الكلام، ولا يشابه كلام المخلوقين، وإذا[2] الخالق لا يقاس بالمخلوق، ويكلم به من شاء، وبغيرها ويُسمِعهُ على الحقيقة من شاء من ملائكته، ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى، كما أن كلامه تعالى لا يشبه كلام المخلوقين فإن صوته لا يشبه أصواتهم، وكلماته تعالى لا نهاية لها ومن كلامه القرآن، والتوراة والإنجيل، فالقرآن كلامه، سوره، وآياته وكلماته[3].

القرآن كلام الله:

والقرآن من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه: والدليل أنه كلام الله قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦].

والقرآن منزل من عند الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان: ١].

والقرآن غير مخلوق: والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) «جامع الرسائل» لابن تيمية، المجموعة الثانية، ص (٤-٥).

(٢) كذا بالأصل ولعلها «إنَّ»

(٣) من كتاب «العقيدة السلفية في كلام رب البرية» بتصرف، عبد الله يوسف البديع ص (٦٣).

فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر، لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ [الطلاق: ٥].

ولأن كلام الله صفة من صفاته غير مخلوقة، ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا لمن قاله مبتدئًا، ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الأحاديث: «أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان»[1].

وقال ابن جرير الطبري في صريح السنة: «القرآن كلام الله وتنزيله، وإذا كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق»[2].

وقال الشيخ علاء الدين بن العطار: «القرآن كلام الله وكتابه، وخطابه، وتنزيله، وغير مخلوق، من قال بخلقه فقد كفر، إذ هو من صفاته»[3].

علو الله على خلقه:

إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون ذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلا مبتدع غالٍ في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته[4].

أما الآيات الدالة على علو الله على خلقه:

قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦].

---

(١) «لمعة الاعتقاد»، بتصرف (٧٨- ٧٩).

(٢) «صريح السنة»، ص (١٨).

(٣) «الاعتقاد الخالص» من الشك ص (٣٥).

(٤) «إثبات صفة العلو للمقدسي»، ص (٦٣).

وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨].

أما الأحاديث في ذلك منها:

قول الرسول ﷺ : « **ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء** »[1].

« والإجماع على علو الله على خلقه معروف نقله السعدي في توضيح الكافية الشافية »[2].

وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية أقربه قرب المدينة فيها جارية لي، فأطلقتها ذات يوم، فإذا ذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا من بني آدم آسف كما يأسفون، فرفعت يدي فصككتها صكة، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك، فعظم ذلك، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: « **ادعها** »، فدعوتها، قال فقال لها رسول الله ﷺ : « **أين الله؟** » قالت: في السماء، قال: « **من أنا؟** »، قالت: أنت رسول الله، قال رسول الله ﷺ : « **اعتقها فإنها مؤمنة** »[3].

أما أقوال السلف:

قول ابن تيمية حيث قال: « إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين، بل سائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات علو الله على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأضاف[4] من العبادات، وتارة يخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع، وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها، وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، واستدل بآيات وأحاديث كثيرة في ذلك »[5].

---

(١) أخرجه اللالكائي في « شرح أصول السنة » (٦٥٥).

(٢) توضيح « الكافية الشافية » ص (٦٩).

(٣) مسلم، كتاب « المساجد » (٥٣٧)، (١/٣٨٢).

(٤) كذا بالأصل ولعلها « أصناف ».

(٥) « مجموعة الرسائل والمسائل » (١/٢٠٠).

معنى كون الله في السماء:

أي أن الله تعالى على السماء، ففي بمعنى على، وليست للظرفية، لأن السماء لا تحيط بالله أو أنه في العلو، فالسماء بمعنى العلو، وليس المراد بها السماء المبنية[(١)].

إثبات معيته وقربه مع كمال علوه وفوقيته:

وصف الله نفسه بالمعية في آيات كثيرة وهي نوعان عامة وخاصة:

فالعامة كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨].

والمعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

ولكل معية اختصاص:

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريقة العموم كان معنى ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وهذا هو قول السلف في المعية العامة كما يتضح ذلك من أقوالهم.

---

(١) «لمعة الاعتقاد» (٦٨).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [المجادلة: ٧].

ابتدأ الله - ﷻ- الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه - ﷻ- محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا هو قول المسلمين(١).

والمعية الخاصة معناها أنه معهم بالنصرة والتأييد والمعونة كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥].

في النصر لكم على عدوكم(٢).

لا تنافي بين علوه وقربه:

دلت على ذلك النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

ومن السنة:

حديث أبي موسى قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا معكم**» وفي لفظ: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**»(٣).

«ومذهب السلف في هذا أنه سبحانه وتعالى يقرب ويدنو من بعض خلقه كيف

(١) «الشريعة» للآجري ص (٢٧٨).

(٢) «الرد على الجهمية» والزنادقة (١٤٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب «الذكر والدعاء»، باب استحباب خفض الصوت في الدعاء (٤/٢٠٧٦-٢٠٧٧).

يشاء، وأن ذلك لا يستلزم خلو العرش من ذاته، بل هو فوق العرش، ودنوه كنزوله، فكما أنه ينزل ولا يخلو منه العرش فكذلك يقرب من بعض خلقه كيف يشاء وكما يشاء، من غير خلو العرش منه تعالى»[(١)].

«وقربه الذي هو من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل بهم عالمًا ولم يزل عليهم قادرًا»[(٢)].

إثبات صفة الوجه:

ومن صفات الله تعالى صفة الوجه وهي صفة ذاتية، والأدلة على هذه الصفة كثيرة من القرآن والسنة.

أما أدلة القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

ومن السنة:

حديث أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»[(٣)].

وقول النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**»[(٤)].

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٥/٤٠٦).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٦/١٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب «الإيمان» باب قوله عليه السلام: إن الله لا ينام (١/١٦١- ١٦٢).

(٤) البخاري: كتاب «الجنائز»، باب رثاء سعد بن خولة جـ٢، ص (١٠٣).

«أجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو وجه حقيقي يليق بالله»[١].

إثبات صفة اليدين:

والآيات في إثبات صفة اليدين لله واضحة: وكذلك الأحاديث النبوية وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].

والأدلة من السنة:

قول النبي ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، والذين يعدلون في أهلهم، وحكمهم، وما ولوا**»[٢].

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك...**»[٣].

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى يليقان به[٤].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة اليد الإفراد، والتثنية والجمع، ففي الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١].

وفي التثنية كقوله تعالى: ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وفي الجمع كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [يس: ٧١].

---

(١) «لمعة الاعتقاد» ص (٨٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب «الإمارة»، باب فضل الإمام العادل (١٤٥٨/٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب «صفة المنافقين»، باب صفة القيامة (١٢٤٨/٤)، رقم الحديث (٢٧٨٨).

(٤) انظر: «لمعة الاعتقاد» ص (٤٩).

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذ لا ينافي الثنتين على أنه قد قيل، إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً[١].

إثبات أصبعين من أصابع الرحمن:

وهذا ثابت بحديث عبد الله بن عمرو، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف شاء**»[٢].

إثبات صفة اليمين والقبض:

وهي ثابتة بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله جلّ اسمه: يا ابن آدم أنفق، أنفق عليك، إن يمين الله ملأى لا يغيضها[٣] نفقة، سحّاء الليل والنهار**»[٤].

أما القبض فحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض**»[٥].

إثبات صفة العين:

وإثبات صفة العين على ما يليق بالله تعالى: ولا يفهم منها أن العين لله جارحة كأعيننا، بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقدمَه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق[٦].

---

(١) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب «القدر» باب تصريف الله تعالى للقلوب كيف يشاء (٤/٢٠٤٥) رقم الحديث (٢٦٥٤).

(٣) لا يغيضها: لا ينقصها.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب «التفسير»، سورة هود، رقم الحديث (٤٦٨٤)، انظر: «الفتح» (٨/٣٥٢).

(٥) ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ص (٦٤).

(٦) «الصفات الإلهية» ص (٣١٩).

والعين صفة لله تعالى بلا كيف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، والأدلة من الكتاب على صفة العين.

قال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط، لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤- النحل: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]. وهنا ذكرت بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع.

وأما السنة:

في قصة المسيح الدجال في حديث عبد الله بن عمر الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية»**(١).

إثبات ثبوت الساق:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ: **«فيكشف عن ساقه عز وجل فيسجد له كل مؤمن»**(٢).

هذا حديث صحيح يثبت لله عز وجل الساق وأنها علامة بينه وبين عباده المؤمنين يوم القيامة، فإذا كشف عنها خرَّ كل مؤمن ساجدًا لله.

وهي تليق به سبحانه وتعالى ونثبتها بدون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تشبيه.

إثبات الرِّجل والقدم لربنا جلَّ شأنه:

والرجل والقدم ثابتة لربنا جلَّ شأنه، والدليل على ذلك حديث أنس بن مالك أن

---

(١) البخاري، كتاب «الفتن»، باب ذكر الدجال (٩٢/١٣)، مسلم في باب ذكر الدجال جـ ١٨، ص (٥٩-٦٠) شرح النووي.

(٢) أخرجه البخاري، «فتح الباري»، جـ (٤٣١/١٣) كتاب «التوحيد»، باب (وجوه يومئذٍ) رقم الحديث (٧٤٣٩).

النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول: «هل من مزيد» حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول قط**[١]**، قط، وينزوي**[٢] **بعضها إلى بعض**[٣]».

وللسلف أقوال في كون الكرسي موضع قدمه جلَّ شأنه.

قال ابن أبي مالك[٤]: «الكرسي تحت العرش، والله واضع رجليه على الكرسي»[٥].

إثبات صفة النَّفْسِ:

صفة النَّفْسِ ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

أما الأدلة من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وأما السنة:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله أنا مع عبدي حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»[٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده، إن رحمتي سبقت غضبي**»[٧].

وقال النبي ﷺ: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد**

---

(١) معنى «قط»: حَسْب، «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير (٤/٧٩).

(٢) ينزوي: أي ينضم، وينقبض، ويجتمع.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب «التفسير»، باب قوله: (وتقول: هل من مزيد) (٨/٢٤١- ٢٤٢).

(٤) هو عزوان بن مالك الغفاري، مشهور بكنيته، كوفي، روى عن ابن عباس، «تقريب التهذيب» (٢٧٣).

(٥) «السنة» لأبي عبد الله أحمد ص (٧٠).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب «التوحيد»، باب قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ برقم (٧٤٠٥) انظر: «الفتح» (١٣/ ٣٨٤).

(٧) رواه البخاري جـ ٤ ص (٢٢٣).

كلماته»[١].

فالله جلّ وعلا أثبت في كتابه أن له نفسًا وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ: «أن له نفسًا، كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآيات وهذه السنن وغير ذلك من الأحاديث»[٢].

وأجمع السلف على إثباها على الوجه اللائق به[٣].

المبحث الثاني

في بعض الصفات الفعلية

إثبات استواء الله على عرشه:

وهذه المسألة من المسائل المهمة جدًا وواجب على طالب العلم أن يعرف فيها حكم الله وأعجبني كلام لابن القيم نسبه إلى ابن تيمية في هذا الموضوع فقال: «وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة كلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش، وفوق السماوات مستوٍ على عرشه»[٤].

أما الأدلة من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) مسلم، كتاب «الذكر والدعاء»، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٦- ٢٧).

(٢) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة ص (٨).

(٣) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة ص (٥١).

(٤) «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص (٩٦).

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨، ٥٩].

أما الأدلة من السنة:

فمنها قصة المعراج وهي متواترة وتجاوز النبي ﷺ السماوات، سماء سماء، حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى ينزل من عند ربه إلى عند موسى فيسأله كم فرض عليه فيخبره، فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف[١].

أقوال علماء السلف:

ذكر ابن تيمية في كتابه شرح حديث النزول: «أن مالك بن أنس سئل عن قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر أن يخرج من المجلس».

وروى بإسناده الثا ت عن عبد الله بن المبارك أنه قال: «تعرف[٢] ربنا بأنه فوق سبع سمواته بائن من خلقه، و لا نقول كما قالت الجهمية بأنه ها هنا، وأشار بيده إلى الأرض»[٣].

«وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى»[٤].

---

(١) صحيح مسلم جـ ١، كتاب «الإيمان» باب (٤٤)، حديث (٢٥٩)، ص (١٤٦).

(٢) كذا بالأصل والصواب «نعرف».

(٣) «شرح حديث النزول»، لابن تيمية ص (٥).

(٤) «لمعة الاعتقاد الهدي إلى سبيل الرشاد»ص (٦٢)

تعليق لطيف على القاعدة المالكية في الاستواء

في قول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وتعليق لطيف لشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: فقد أخبر ﷺ بأن نفس الاستواء معلوم، وأن كيفية الاستواء مجهولة وهذا بعينه قول أهل الإثبات. ثم قال: وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وأنه معلوم، وأن له كيفية لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن، ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية.

فإن السؤال[1] إنما أمره معلوم لنا، ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلومًا له كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا[2].

وأكثر من صرح بأن الله مستوٍ بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة. وفي كتاب جامع النوادر، وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكيًا، وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب «الأسماء الحسنى»، وكذلك أبو عمر بن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين، وغير ذلك من السادة المالكية[3].

صفة النزول:

هي صفة ثابتة لله بالسنة وإجماع السلف.

أما السنة:

قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفر لي فأغفر له**»[4].

---

(١) كذا بالأصل والصواب «الاستواء» فتأمل.

(٢) «القاعدة المراكشية» ص (٥٨).

(٣) «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١٣٤/٢).

(٤) «مسلم في صلاة المسافرين»، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١٧٥/٢-١٧٦).

وللإمام الدارمي عثمان بن سعيد كلام نفيس في الرد على بشر المريسي العنيد. قال الشيخ الدارمي – رحمه الله–: «فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش وبكل مكان، من غير زوال لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول».

فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضًا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان فما بال النبي ﷺ يحدد لنزوله الليل دون النهار، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار، فبرحمته وأمره يدعو العباد إلى الاستغفار، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه؟ فيقولان: هل من داع فأجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فإن قدرت مذهبك لزمك أن تدعو الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما، دون الله، وهذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ قد علمتم ذلك ولكن تكابرون[(١)].

وأجمع السلف على ثبوت النزول فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو نزول حقيقي يليق بالله تعالى[(٢)].

إثبات صفة المجيء:

مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالقرآن والسنة وإجماع السلف.

والأدلة من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

ومن السنة:

قول النبي ﷺ : «**حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم ربُّ العالمين**»[(٣)].

---

(١) رد الدارمي على بشر المريسي العنيد ص (٢٠).

(٢) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة ص (٥٨).

(٣) البخاري: «فتح الباري»، كتاب «التوحيد» باب قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ (٧٤٣٩) جـ (٤٣١/١٣).

والإجماع معلوم:

وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيءٌ حقيقي يليق بالله تعالى(١).

إثبات صفة الرضا:

الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة، وإجماع السلف.

وأما من الكتاب قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾ [المائدة: ١١٩].

أما من السنة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(٢).

أجمع السلف على إثبات صفة الرضا لله تعالى، فنثبتها له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى(٣).

صفة المحبة:

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

والدليل من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن السنة:

قال النبي ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسولُه**»(٤).

---

(١) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٢).

(٢) مسلم، كتاب «الذكر والدعاء»، باب استحباب حمد الله بعد الأكل والشرب، جـ (٤/٢٠٩٥) رقم الحديث (٢٧٣٤).

(٣) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٣).

(٤) البخاري، «فتح الباري»، كتاب «المغازي»، باب غزوة خيبر (٧/٥٤٤) رقم الحديث (٤٢١٠).

وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل(١).

إثبات صفة الغضب:

الغضب من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

وأدلة الكتاب هي:

قال الله تعالى فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾ [النساء: ٩٣].

ومن السنة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله كتب كتابًا عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي**»(٢).

وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو غضب حقيقي يليق بالله(٣).

إثبات صفة السخط:

والسخط من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾ [محمد: ٢٨].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك**»(٤).

وأجمع السلف على ثبوت صفة السخط لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو سخط حقيقي يليق بالله(٥).

---

(١) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة ص (٥٤).

(٢) مسلم، كتاب «التوبة»، باب في سعة رحمة الله، (٢٧٥١)، (١٤) من حديث أبي هريرة جـ (٢١٠٧/٤).

(٣) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٥).

(٤) مسلم: كتاب «الصلاة»، باب: ما يقال في السجود والركوع، رقم (٤٨٦) جـ (٣٥٢/١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٦).

إثبات صفة الضحك:

من صفات الله الثابتة له بالسنة وإجماع السلف من الأمة.

قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة..**»، وتمام الحديث: «**يقاتل في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»[١].

أجمع السلف على إثبات صفة الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٢].

إثبات صفة العجب:

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢].

وفي السنة:

حديث أبي هريرة في حديث الضيف لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة فأنزل ﷻ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩][٣].

وأجمع السلف على ثبوت العجب لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وهو عجب حقيقي يليق بالله سبحانه وتعالى[٤].

إثبات صفة الكراهة:

الكراهة من الله لمن يستحقونها ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

أما من الكتاب:

قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٦].

---

(١) البخاري: كتاب «الجهاد»، باب كافر يقتل المسلم ثم يسلم، رقم (٢٨٢٦)، جـ (٤٧/٦).

(٢) «لمعة الاعتقاد» ص (٦١).

(٣) البخاري، فتح الباري، كتاب «التفسير»، باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (جـ ٨/٥٠٠).

(٤) «لمعة الاعتقاد» ص (٥٩).

أما من السنة:

قال النبي ﷺ: «**إن الله كره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[١].

أجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي كراهية من الله حقيقة تليق به[٢].

إثبات صفة الفرح:

صفة الفرح ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول، قال ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**».

وفي رواية مسلم: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فيأس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد يئس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذها بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[٣].

وهذه الصفة الثابتة بنص الحديث بدون تأويل ولا تشبيه، ومعنى الفرح معلوم والكيف مجهول، والبحث عن الكيفية غير طريق السلف، والإيمان بها من مستلزمات الدين.

إثبات صفة الغيرة لربنا جلَّ شأنه:

هي ثابتة بنص حديث رسول الله ﷺ، روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حُرم عليه**»[٤].

---

(١) البخاري، كتاب «الأدب»، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم (٥٩٧٥) (جـ ١٠/ ٤١٩).

(٢) «لمعة الاعتقاد»، ص (٥٧).

(٣) مسلم، كتاب «التوبة»، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (جـ ٤/ ٢١٠٢).

(٤) مسلم (٤/ ٢١١٤) رقم الحديث (٢٧٦١).

المبحث الثالث

بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة

ورد في القرآن أفعال أطلقها الله ﷻ على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، ولكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

فلا يطلق على الله لفظ مخادع، ماكر، ناسٍ، مستهزئ، ونحو ذلك، تعالى الله عنه علوًّا كبيرًا، ولا يقال: الله يستهزئ، ويخادع، ويمكر، وينسى، على سبيل الإطلاق، وقد أخطأ الذين عدوا ذلك من أسمائه الحسنى خطأ كبيرًا، لأن الخداع والمكر يكون مدحًا ويكون ذمًّا، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا مقيدًا بما يزيل الاحتمال المذموم منه كما ورد مقيدًا في الآيات[1].

المبحث الرابع

الله ينزه عن كل صفة نقص

وهذا المبحث من بديهيات العقول، وأصحاب الفطرة السليمة يقدرونه، ووردت الآيات والأحاديث التي تبين ذلك، ولعظمة الفائدة فيه أقول وبالله التوفيق:

إن الله تعالى ينزع عن كل صفة نقص.

فينزه الله – ﷻ – عن الغفلة والنسيان بأي وجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب

(١) معارج القبول (جـ ١) ص (٧٦).

والشهادة، وعلمه محيط بكل شيء فلا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خفاء بعض المعلومات أو نسيانه، والذهول عنها، قال تعالى: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

ومنزه عن الاحتياج إلى الرزق والطعام، لأنه هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء إليه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤].

والله منزه عن الظلم للعباد بأن يزيد في سيئاهم أو ينقص من حسناهم أو يعاقبهم على ما لم يفعلوا، فإن الظلم لا يفعله إلا من هو محتاج إليه أو من هو موصوف بالجور، أما الله الغني عن خلقه من جميع الوجوه الحكم العدل الحميد، فما له وظلم العباد؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]. والله منزه عن العبث في الخلق والأمر فلم يخلق سبحانه وتعالى شيئًا عبثًا ولا باطلاً، ولا شرع إلا حكمة عظيمة، لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحمده إتقان المصنوعات وإحكامها وإحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه[١].



(١) الحق الواضح المبين لابن سعدي، ص (١٠).

الفصل الخامس

في بعض القواعد للأسماء والصفات

أهمية معرفة القواعد للعلوم معلومة الأهمية عند العلماء:

قال السعدي – رحمه الله-: إن معرفة القواعد وإتقانها من أهم العلوم وأعظمها فائدة، وذلك أن القواعد يسهل حفظها، فإذا حفظت وفهمت يمكن التفريع عليها، ولهذه الأسباب الوجيهة اهتم العلماء بتقعيد القواعد في كل نوع من أنواع العلوم، وليس هنالك صنف إلا تجد له أصولاً وقواعد تساعد على حفظ هذا الصنف من العلوم الذي قعدت له تلك القواعد.

إن الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتقوى بالأصول، والقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نماءً مطردًا، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرًا، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها ولها من الفوائد الكثيرة غير ما ذكرنا[١].

ولذلك اعتنى العلماء بوضع القواعد في جميع الفنون، وليس هناك فن إلا وتجد له قواعد وأصولاً كثيرة تنتهج[٢].

القاعدة الأولى:

(وجوب تقديم السمع على العقل في معرفة أسماء الله وصفاته).

إن وجوب معرفة الله تعالى وصفاته يجب فيها تقديم السمع على العقل.

قال الله تعالى يخاطب نبيه ﷺ بلفظ خاص والمراد به العام: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

(١) طريق الوصول، للسعدي، بتصرف ص (٤).

(٢) عبد الرحمن السعدي وجهوده في خدمة العقيدة للعباد ص (١١٢).

ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فأخبر الله نبيه في هذه الآية أنه بالسمع والوحي عرف الأنبياء قبله التوحيد[١].

قال تعالى على لسان نبيه: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾ [سبأ: ٥٠].

وكذلك معرفة الرسل وجوبها بالسمع، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٥].

فدل على أن معرفة الله والرسل بالسمع كما أخبر الله ﷻ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة[٢].

القاعدة الثانية:

(الأدلة التي نثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما).

ودليل هذه القاعدة السمع والعقل.

فأما السمع:

فمنه قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

---

(١) «شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: «أصول اعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة»، للالكائي (١/ ١٩٦).

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧]. والسنة شارحة مبينة للقرآن.

والدليل العقلي:

من المعلوم أن تفصيل القول فيما يمتنع أو يجب أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، يجب الرجوع فيها إلى ما جاء في الكتاب والسنة. قال ابن قتيبة – رحمه الله-: «فنحن نقول كما قال الله تعالى، وكما قال رسوله ولا نتجاهل».

ولا يحملنا ما نحن فيه من نفي التشبيه على أن ننكر ما وصف به نفسه ولكنا لا نقول كيف، والله وضع عنا أن نفكر كيف كان، وكيف قدر، وكيف خلق، ولم يكلفنا ما لم يجعله في تركيبنا ووسعنا»[1]. ونقتصر على جملة ما قال الله ونمسك عما لم يقل[2].

القاعدة الثالثة:

(الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف ولا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها ودليل ذلك السمع والعقل).

أما السمع: فقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣].

(١) «عقيدة الإمام ابن قتيبة»، ص (١٣٤).

(٢) انظر: «عقيدة الإمام ابن قتيبة»، ص (١٣٩).

وأما العقل:

لأن المتكلم بهذه الآيات أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

قال ابن قتيبة - رحمه الله-: «الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله إلى حيث انتهى في صفته أو حيث انتهى رسوله ﷺ ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب ونضعه عليه ونمسك عما سوى ذلك»[1].

القاعدة الرابعة:

(ظواهر النصوص معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، باعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة)[2].

وقد دل على ذلك السمع والعقل:

دليل السمع: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه. وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل: فلأنه من المحال أن ينزل الله تعالى كتابًا أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام يقصد بهذا الكتاب، وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهولة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

---

(١) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ص (١٣٩).

(٢) «القواعد المثلى» ص (٢٤).

القاعدة الخامسة:

«ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه، ومعنى آخر على وجه»[١].

فلفظ: «القرية» مثلاً يُراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارةً أخرى.

فمن الأول – قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٥٨].

ومن الثاني– قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت: ٣١].

ونقول: صنعت هذا بيدي فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]. لأن اليد في المثال الأول أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية الأخرى أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس»[٢].

القاعدة السادسة:

«صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك».

قد دلَّ على هذا السمع والعقل والفطرة[٣].

أما السمع. فمنه قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

---

(١) «القواعد المثلى» ص (٣٦).

(٢) «القواعد المثلى» ص (٣٧).

(٣) «القواعد المثلى» ص (١٨).

والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلابد أن يكون له صفة، إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز.

فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

ومن دلائل الفطرة: أن الخلق مفطورون على كون الخالق سبحانه وتعالى أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم، وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فِطَرِ الناس، وهو ضروري في حق من سلمت فطرته، فدلالة الفطرة على الصفات واضحة وبينة، فإن كل حادث لابد له من محدث، وهذا المحدث لابد أن يكون قادرًا، عالمًا، مريدًا، حكيمًا: فالفعل يستلزم القدرة، والإحكام يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة، وفي الفطرة الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق، والذي لا نقص فيه من وجه من الوجوه، وكذلك في الفطرة تنزيه الله عن النقائص والعيوب.

ومن القضايا البديهية المستقرة في الفطرة أن الذي يعلم والذي يقدر والذي يتكلم ويبصر أكمل من العادم لذلك، ولهذا يذكر الله تعالى هذه المسألة بخطاب الاستفهام الإنكاري، ليبين أنها مستقرة في الفطرة، وأن النافي لها قال قولاً منكرًا في الفطرة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

فالتسوية منكرة في الفطرة وينكر ذلك على من سوى بينهما.

فالذي ليست لديه صفات الكمال، لا يمكن أن يكون ربًّا، ولا معبودًا، وإن العلم بذلك فطري، كما قال الخليل: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

وقال تعالى: عن عجل بني إسرائيل: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

القاعدة السابعة:

(صفات الله تنقسم إلى ثبوتية وسلبية).

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم والقدرة والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا والوجه واليدين.

فيجب إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به[1] دليل السمع والعقل.

أما دليل السمع: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

أما العقل: لأن الله أخبر بها عن نفسه وهو أعلم من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثًا من غيره فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد.

أما الصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب، فيجب نفيها عن الله لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال[2] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

وكما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

---

(١) «القواعد المثلى» ص (٢١).

(٢) «القواعد المثلى» ص (٢٣).

القاعدة الثامنة:

(الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها، وما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم)[1].

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية:

الأولى- بيان عموم كماله لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

الثانية- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون: قال تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩١، ٩٢].

الثالثة- دفع توهم نقص من كمال فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [الدخان: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

القاعدة التاسعة:

(صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه)[2].

الأول- التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوهما.

الثاني- تضمن الاسم لها مثل: الغفور متضمن للمغفرة والسميع متضمن للسمع وهكذا.

---

(١) «القواعد المثلى» ص (٢٤).

(٢) «القواعد المثلى» ص (٢٨).

الثالث- التصريح بفعل أو وصف دال عليها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين الدال عليها الترتيب التالي[١]:

قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

وقوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

القاعدة العاشرة:

(أن الصفات ثلاثة أنواع: صفات كمال، وصفات نقص، وصفات لا تقتضي كمالاً ولا نقصًا وإن كانت القسمة التقديرية تقتضي قسمًا رابعًا وهو ما يكون كمالاً ونفعًا باعتبارين، والرب منزه عن الأقسام الثلاثة وموصوف بالقسم الأول وصفاته كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكمال أكمله)[٣].

القاعدة الحادية عشرة:

(وصفات الأفعال متعلقة وصادرة عن ثلاث صفات وهي: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي كلها بالله والله متصف بها، وآثارها ومقتضياتها وجميع ما يصدر عنها في الكون كله من التقديم والتأخير والنفع والضر والعطاء والحرمان والخفض والرفع، ولا فرق بين محسوسها ومعقولها، ولا بين دينيها ولا دنيويها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال)[٤].

---

(١) «القواعد المثلى» ص (٢٩).

(٢) مسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، (٢/١٧٥، ١٧٦).

(٣) «بدائع الفوائد» لابن القيم ص (١٦٨).

(٤) «توضيح الكافية الشافية» ص (١٣١- ١٣٢).

القاعدة الثانية عشرة:

(المضافات إلى الله إذا كانت أعيانًا فهي من جملة المخلوقات وإذا كانت أوصافًا فهي من صفات الله)[1].

والذي يضيفه الله إلى نفسه، إما أعيان يخصصها بهذه الإضافة المقتضية للاختصاص والتشريف مثل عبد الله وناقة الله، وبيت الله ومثله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

فهذه أعيان قائمة بأنفسها وهي من جملة المخلوقات لكنه - جل شأنه - أضافها لنفسه تفضيلاً لها على غيرها وتعظيمًا، وإما إضافة أوصاف كعلم الله وقدرته وإرادته وكذلك كلامه وحياته، فهذه الإضافة تقتضي قيامها بالله وأنه موصوف بها، وكذلك ما أخبر أنه منه[2].

فإن كان أعيانًا كروح منه﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]. فهذه منه خلقًا وتقديرًا.

القاعدة الثالثة عشرة:

(في الألفاظ الموهمة حق وباطل).

الصفات التي وردت في الكتاب والسنة حق يجب الإيمان بها وإن لم نفقه معناها أما ما يطلقه الناس على الله سبحانه مما لم يرد في الكتاب والسنة مما يتنازع فيه الناس فلا نثبته ولا ننفيه حتى نبين مراد قائله منه.

فمثلاً لفظ الجهة يقال لمن نفى الجهة، ماذا تعني بالجهة؟ إن كنت تعني أن الله في داخل جرم السماء، وأن السماء تحويه فلا يجوز أن نقول: إن الله في جهة، وإن كان المراد: أن الله في جهة أي فوق مخلوقاته، فوق السماوات فهذا حق، وكذلك التحيز إن كان المراد أن الله تحوزه المخلوقات، فهذا باطل قطعًا وإن أراد منحازًا عن المخلوقات أي مباين لها فهذا حق[3].

---

(١) «توضيح الكافية الشافية».

(٢) «توضيح الكافية الشافية» ص (٣١).

(٣) «الفتاوى» (٣/ ٤٠١).

القاعدة الرابعة عشرة:

(أسماء الله الحسنى كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها وكلها أوصاف مدح وثناء).

معنى ذلك أن أسماء الله ليست أعلامًا محضة لا تدل على معانٍ كما يقول ذلك المعتزلة، فالمعتزلة أثبتوا لله الأسماء دون ما تتضمنه من الصفات، فمنهم من جعل العليم القدير والسميع البصير كالأعلام قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات[١].

القاعدة الخامسة عشرة:

(القول في الصفات كالقول في الذات).

ذلك أن الله سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات[٢].

قد بين هذه القاعدة الشيخ السعدي - رحمه الله- فقال: «فإن زعموا أن إثبات الصفات يدل على التشبيه بخلقه، قيل: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن الله ذاتًا لا تشبه الذوات فلله صفات لا تشبهها الصفات، تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه»[٣].

القاعدة السادسة عشرة:

(القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر).

وهي قاعدة يرد بها على من فرق بين الصفات فأثبت بعضها ونفى البعض أو أثبت

(١) «الرسالة التدمرية» (١٣).

(٢) «التدمرية»، لابن تيمية (١٥).

(٣) «طريق الوصول» ص (٦)، «التفسير» (١/ ٢٥٧).

الأسماء دون الصفات، فمثلاً الذي ينازع في محبة الله ورضاه فيجعلها مجازًا ويفسرها بالإرادة يقال له: لا فرق بين ما نفيته وما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قال له: إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، يقال له: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به.

وهذا يقال في سائر الصفات لمن فرق بينهما وهؤلاء الذين فرقوا بين الصفات فأثبتوا بعضها ونفوا الآخر، فروا من شيء، ووقعوا في شر منه ولو أنهم ساروا في الصفات على منهج واحد فأثبتوها جميعًا على الوجه اللائق بالله لسلموا[١].

القاعدة السابعة عشرة:

(من أسماء الله ما يكون دالاً على عدة صفات).

إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً كجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه كاسمه العظيم والمجيد والصمد، وقد وضح ابن عباس في تفسيره للصمد فقال: السيد الذي قد كَمُلَ في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي كمل في أنواع شرفه وسؤدده، وهو الله سبحانه الواحد القهار هذا لفظه. وهذا مما خفي على كثير ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى، ففسره بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم فمن لم يحط بهذا العلم بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبر[٢].

القاعدة الثامنة عشرة:

(إن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة).

إن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة، أمران لفظيان وأمران معنويان،

---

(١) انظر: «الرسالة التدمرية» (٦، ١١) وما بعدها.

(٢) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم ص (١٦٨).

فالأمران اللفظيان هما ثبوتي، وسلبي، فالثبوتي أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، والسلبي أن يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون خبرًا عنه، وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثالاً واحدًا وهو صفة الكلام فإنه إذا قامت بمحل كانت هو المتكلم دون من لم تقم به وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال، وأمر ونهى ونادى وناجى وأخبر وخاطب وتكلم وكلم ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره على عدم قيامها به وهذا[١] هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية وهو من أصح الأصول طردًا وعكسًا.

القاعدة التاسعة عشرة:

(يجب الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات).

إن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلق بالمرحوم فالنعم كلها من آثار رحمته.

وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى فيقال عليم ذو علم عظيم يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا، وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئًا منها، ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضًا مبطلاً[٢].

القاعدة العشرون:

(معاني الصفات معلومة وكيفيتها مجهولة والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة).

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم ص (١٦٦).

(٢) انظر: «القواعد الحسان» ص (١١٠)، «الفتاوى السعدية» ص (١١).

إن الأمر في الصفات كلها كما قال الإمام مالك لمن سأله عن كيفية الاستواء على العرش: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فمن سأل عن كيفية علم الله أو كيفية خلقه وتدبيره، قيل له: كما أن ذات الله تعالى لا تشبهها الذوات، فصفاته لا تشبهها الصفات، فالخلق يعرفون الله ويعرفون ما تعرَّف لهم من صفاته وأفعاله، وأما كيفية ذلك فلا يعلم تأويله إلا الله»[١].

القاعدة الحادية والعشرون:

(كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديًا)[٢].

ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله مثال ذلك في غير المتعدي: «العظيم» فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسمًا من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وما تضمنه من صفته العظيمة.

مثال ذلك في المتعدي: «الرحمن» فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسمًا من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وما ترتب عليه من أثر، وهو أنه يرحم من يشاء[٣].

أسماء لله غير محصورة بعدد معين[٤]. والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[٥]. وما استأثر الله به في علم الغيب لا يستطيع أي مخلوق حصره، ولا الإحاطة به.

---

(١) انظر: «طريق الوصول» للسعدي ص (٨).

(٢) «لمعة الاعتقاد»، شرح ابن عثيمين ص (٢٤).

(٣) انظر: «لمعة الاعتقاد» ص (٢٣).

(٤) «لمعة الاعتقاد» شرح ابن عثيمين ص (٢٢).

(٥) رواه أحمد (١/ ٣٩٤، ٤٥٢)، الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

القاعدة الثانية والعشرون:

(باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، ولا منتهى بها)[١].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

ومن أمثلة ذلك أن من صفات الله تعالى المجيء والإتيان والأخذ والإمساك والبطش إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢].

وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَنَصِفُ الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد ولا نسميه بها فلا نقول إن من أسمائه الجائي[٢] والآتي والآخذ والممسك والباطش والمريد والنازل ونحو ذلك، وإن كنا نعبر بذلك عنه ونصفه به»[٣].

القاعدة الثالثة والعشرون:

(دلالة الأسماء على الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام).

وهذه القاعدة من أجَلِّ القواعد وأنفعها وتستدعي قوة فكر، وحسن تدبير وصحة قصد، والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني، فإذا

---

(١) «القواعد المثلى» ص (٢١).

(٢) «الجائر» كذا بالأصل، وهو خطأ فاحش، والصحيح «الجائي».

(٣) «القواعد المثلى» ص (٢١).

فهمتها فهمًا جيدًا، ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها وما يشترط لها، وكذلك فكر فيما يترتب عليها ويتفرع عنها وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكر وداوم عليه حتى يصير لك ملكة جيدة في الخوض في المعاني الدقيقة.

فإن القرآن حق ولازم الحق حق وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق ذلك كله حق ولابد.

ومثال ذلك: الرحمن الرحيم، تدل بلفظتها على وصفه بالرحمة، وسعة رحمته فإذا فهمت أن الرحمة التي لا يشبهها رحمة، وهي وصفه الثابت، وأنه أوصل رحمته إلى مخلوق، ولا يخل أحد من رحمته طرفة عين، عرفت أن هذا الوصف يدل على كمال حياته، وكمال قدرته وإحاطة علمه، ونفوذ مشيئته وكمال حكمته لتوقف الرحمة على ذلك كله، ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نور ورحمة، ولهذا يعلل الله كثيرًا من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه، ولأنها من مقتضاها وأثرها[1].

القاعدة الرابعة والعشرون:

(أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها).

وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها وتفسير الاسم منها بغيره، ليس تفسيرًا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم، وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله، وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص فله من صفة الإدراكات العليم والخبير دون العاقل الفقيه والسميع والبصير دون السامع والمبصر والناظر.

ومن صفات الإحسان البر الرحيم الودود، دون الرفيق الشفوق ونحوهما، وكذلك العلي العظيم، دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور

---

(١) انظر: «القواعد الحسان» (٣٢).

دون الفاعل الصانع المشكل والغفور العفو دون الصفوح الساتر، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسها منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه فتأمل ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون[1].



---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» ص (١٦٨).

الباب الثالث

علاقة الذات والأفعال وبعض الصفات ببعضها
وموقف أهل السنة من التأويل والتفويض
وبيان آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة
وعلاقة الصفات بالحاكمية

الفصل الأول– وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العلاقة بين الصفات والذات.

المبحث الثاني: العلاقة بين الصفات والأفعال.

المبحث الثالث: طبيعة علاقة الصفات بعضها ببعض من حيث الآثار والمعاني.

المبحث الرابع: نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيه.

الفصل الثاني– وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف أهل السنة من التأويل.

المبحث الثاني: موقف أهل السنة من التفويض.

الفصل الثالث– وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة.

المبحث الثاني: لكل صفة من صفات الله أثر في القلب.

المبحث الثالث: وصف الله نفسه بالمغفرة لا يعني الإسراف في المعاصي.

المبحث الرابع: من لوازم استحقاق الله تعالى لصفات الكمال وحده تفرده سبحانه بالحاكمية.

الفصل الأول

علاقة الذات والأفعال وبعض الصفات ببعضها

المبحث الأول

العلاقة بين الصفات والذات

إن الإيمان بالله تعالى إنما يعني الإيمان بالذات العلية، والواجبة الوجود، وجودًا حقيقيًا، والإيمان بصفاته العلى وأسمائه الحسنى معًا، وعندما يقول المؤمن: آمنت بالله إنما يعني هذا الإيمان الشامل أي الإيمان بذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه صفات خلقه بل لصفاته حقائق ولصفات خلقه حقائق.

فانطلاقًا من هذا الإيمان الشامل فإن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم، ومعلوم أن الإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس، لأنه لا يتصور وجود «ذات» مجردة عن الصفات، ولا يتصور وجود صفات بدون ذات قائمة فيها، وإذا تصورنا ذاتًا على حدة وتصورنا صفة على حدة، إنما هو تصور ذهني فقط ولذلك فعلاقة الذات بالصفات هي علاقة تلازم.

فالله تعالى واحد بأسمائه وصفاته، فأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه «الله» وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله أو خالق أو رازق، وليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله بمعنى أن للذات مفهومًا وللصفات مفهومًا آخر.

هنا فقط تثبت المغايرة أي في إثبات معنى ومفهوم للصفات غير مفهوم الذات[1].

وقد علم في منهج أهل السنة أن الإيمان الصحيح هو الإيمان برب متصف بصفاته

---

(١) «الصفات الإلهية» بتصرف ص (٣٤١، ٣٤٢).

وأسمائه حقيقة واحدة لا تتجزأ، أي رب واحد بأسمائه وصفاته سبحانه.

وهذا المفهوم الصحيح الذي قد فهمه سلف هذه الأمة، وسلموا به من الخوض في بحث العلاقة بين الذات والصفات، إذ لم يحدث ما يدعو إلى ذلك.

بل القول المؤيد بالأدلة العقلية والنقلية أن صفة الله تعالى داخلة في مسمى أسمائه، فمن استعاذ بصفة من صفات الله تعالى أو حلف بها فإنما استعاذ بالله وحلف به تعالى، ومبحث «هل الحلف بصفة من صفات الله يمين» يأتي في المباحث القادمة - إن شاء الله-.

وهكذا يتضح أنه لا ينبغي إطلاق المغايرة بين الصفات والذات، وأن صفات الله تعالى ملازمة لذاته تعالى لا تنفك عنها، فمن آمن بالله فإنما آمن بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته، ومن كفر بصفة واحدة من صفات الله فقد كفر بالله تعالى وسائر صفاته(١).

المبحث الثاني

العلاقة بين الصفات والأفعال

والمقرر عند أهل السنة: أن أفعال الله سبحانه وتعالى تابعة لحكمته التي لا يخل فيها، وأنها مقصورة لغايتها المحمودة وعواقبها الحميدة قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. لكمال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها، وأنه ليس في أفعاله خلل ولا عبث ولا فساد يسأل عنه كما يسأل المخلوق، وهو الفعال لما يريد فلا يفعل إلا ما هو خير ومصلحة ورحمة وحكمة، فلا يفعل الشر ولا الفساد ولا الجوْر ولا خلاف مقتضى حكمته، لكمال أسمائه وصفاته، وهو الغني الحميد العليم الحكيم(٢).

وكونه فعالاً لما يريد معنى ذلك أنه لا يتم شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد عن

---

(١)«الصفات الإلهية» بتصرف. ص (٣٤٣).

(٢) انظر: طريق الهجرتين، لابن القيم ص (٤١٤).

القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، وأراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء بحكمته[(١)].

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]. وقال أيضًا: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]. وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد: ٢٢].

المبحث الثالث

طبيعة علاقة الصفات بعضها ببعض من حيث الآثار والمعاني

المعلوم لدينا أنْ صفات الله تعالى، صفات الكمال، وأسماؤه تعالى كلها حسنى لأنها متضمنة للأوصاف، فالعلاقة بين الأسماء والصفات أن الصفات من معاني الأسماء، ومأخوذة منها غالبًا، ثم إن أسماء الله تعالى كلها أوصاف كمال وصفاته كلها أسماء حسنى، وهي أعلام وأوصاف في وقت واحد. والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي العلمية في الغالب، إلا أسماء رسول الله ﷺ، فإنها تتضمن الأوصاف كالحاشر، والعاقب، والماحي، ومحمد ﷺ، فمن أسمائه تعالى: العليم، الحكيم، السميع، البصير مثلاً فهذه أعلام دالة على الذات العلية المتصفة بالعلم والحكمة والسمع والبصر، وهكذا سائر صفات الله تعالى، فصفات الله تعالى يمكن أن يقال فيها: إنها مترادفة كلها بالنسبة لعلاقتها بالذات حيث تورد كلها على موصوف واحد كما يليق به وهو الله سبحانه وتعالى. وأما بالنسبة لبعضها فقد تكون مترادفة من حيث المعنى أو متقاربة مثل المحبة والرحمة والفرح والتعجب والضحك، بل نستطيع أن نقول: إن الصفات التي ذكرت بعد المحبة في هذا السياق إنما هي آثار المحبة غالبًا وما أكثر آثارها، وهناك صفات متقابلة:

---

(١) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة. ص (٨٩).

كالرفع والخفض والإعزاز والإذلال، والعطاء والمنع والظاهرية والباطنية، والنفع والضر[١] يدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وهو يثني على الله سبحانه: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[٢].

وهناك صفات متضادة من حيث معانيها: مثل الغضب والسخط مع الرضا ومثل الكراهة مع الحب، إن اتصافه تعالى بهذه الصفات المزدوجة، المأخوذة من أسمائه المتقابلة، وبالصفات المتضادة في معناها على ما تقدم، والمترادفة باعتبار الذات، والمتباينة باعتبار ما بينها في الغالب الكثير، إن الاتصاف بهذه الصفات لهو الكمال الذي لا يشاركه فيه أحد لدلالته على شمول القدرة الباهرة والحكمة البالغة، والتفرد بشئون الكون كله[٣].

المبحث الرابع

نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٤] [الأعراف: ١٨].

لأنها لو لم تكن تدل على معانٍ وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها، ويوصف بها ولكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]. فعلم أن «القويّ» من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [فاطر: ١٠]. فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويًا ولا عزيزًا. وهكذا في سائر أسمائه.

---

(١) «الصفات الإلهية» ص (٣٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الدعوات» (١/ ٣٦) مع شرح النووي.

(٣) تابع الصفات الإلهية ص ٣٤٩.

(٤) «مدارج السالكين»، بتصرف (١/ ٢٨، ٢٩)

وحقيقة الإلحاد فيها أي في أسمائه تعالى العدول فيها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها.

أولاً- أن تسمى بعض المعبودات باسم من أسماء الله تعالى أو يقتبس لها اسم من بعض أسمائه تعالى، كتسمية المشركين بعض أصنامهم «اللات» أخذًا من «الإله» و«العزى» أخذًا من «العزيز» وتسميتهم الأصنام أحيانًا «آلهة» وهذا إلحاد واضح كما ترى لأنهم عدلوا بأسمائه تعالى إلى معبوداتهم الباطلة.

ثانيًا- تسميته تعالى بما لا يليق به كتسمية النصارى له «أبًا» وإطلاق الفلاسفة عليه «موجبًا لذاته» أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

ثالثًا- وصف الله تعالى بما ينزه عنه سبحانه، كقول اليهود - عليهم لعنة الله - إنه فقيرٌ، وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم أيضًا يد الله مغلولة، وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقها أعداء الله قديمًا وحديثًا.

رابعًا- تعطيل أسمائه تعالى عن معانيها وهي الصفات وجحد حقائقها كما فعلت المعتزلة حيث جعلوا أسماء الله ألفاظًا مجردة لا تدل على الصفات، كقولهم سميع بلا سمع، وعليم بلا علم.

خامسًا- تشبيه الله تعالى بصفات خلقه[1].



(١) «بدائع الفوائد» لابن القيم، بتصرف (١/ ١٦٩).

الفصل الثاني

موقف أهل السنة من التأويل والتفويض

المبحث الأول

موقف أهل السنة من التأويل

معنى التأويل في اللغة: له أربعة معانٍ:

١- **المعنى الأول** - المرجع والمصير والعاقبة[١].

٢- **المعنى الثاني** - التعبير.

٣- **المعنى الثالث** - التفسير.

وقد ذكر صاحب لسان العرب أن التأويل والتفسير معنى واحد[٢].

٤- **المعنى الرابع** - الوضوح والواضح يرجع معناه إلى معنى التفسير لأن التفسير معناه الكشف، والإبانة[٣].

معنى التأويل في الاصطلاح: وينقسم التأويل في الاصطلاح إلى قسمين:

الأول - التأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين.

الثاني - التأويل في اصطلاح المتأخرين من المتكلمين والأصوليين والفقهاء والمتصوفة.

أما الأول- فالتأويل: في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين يطابق معناه اللغوي المتقدم: العاقبة والتفسير، فيأتي بمعنى العاقبة، وهو الغالب في استعمال القرآن الكريم، ويأتي

---

(١) «تاج العروس» (٧/ ٢١٤- ٢١٥).

(٢) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٣٣).

(٣) «لسان العرب» (٥/ ٥٥).

بمعنى التفسير، وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم[١].

أما الثاني - وهو اصطلاح المتأخرين: فمعناه: «صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل»[٢].

وقد فصل ذلك شيخ الإسلام في كتبه وذكر أن من معاني التأويل معاني عديدة: أحدها: «أن التأويل بمعنى التفسير، وهذه هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير، واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين إذ ذكر أنه هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣][٣].

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء، والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال تعالى في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوانه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا.

والثالث- أن التأويل هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله وهذا التأويل في كثير من المواضع، أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه[٤].

بعض أقوال أهل السنة في الموقف الصحيح من صفات الله تعالى:

ومعلوم لدينا في مذهب أهل السنة أن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله

---

(١) انظر: «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد» ، بتصرف (٢/ ٥٣٦).

(٢) «التعريفات للجرجاني» ص (٢٤).

(٣) «الرسالة التدمرية» ص (٢٩).

(٤) «الرسالة التدمرية» ص (٢٩)، «الفتاوى» (جـ ١/ ٦٨- ٦٩).

تعالى، نقلها الخلف عن السلف، قرنًا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى، والمعرفة والإيمان له، والتسليم بما أخبر الله تعالى في تنزيله، والرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل، وترك التكييف والتمثيل والجحود.

وهذا الإمام أبو حنيفة - رحمه الله- يقول: «فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه، واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته ولأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف»[1].

وكان الزهري ومكحول يقولان: «أمِرّوا هذه الأحاديث كما جاءت»[2].

وهذا ابن تيمية يقول: «إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات، فليس بين الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف المتأولين ما لا يحصيه إلا الله»[3].

ومعلوم عند علماء الأمة من أهل السنة والجماعة أنه لا يتم إيمان أحد بتوحيد الأسماء والصفات حتى يترك التأويل ويؤمن بجميع الصفات على مراد الله وما بينه رسوله ﷺ وما فهمه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

والأدلة على بطلان مذهب التأويل كثيرة نورد بعضها خوفًا من الإطالة:

أولاً: ما أثبته السلف- رضوان الله عليهم - من مسائل العقيدة هو من عند الله، والكتاب والسنة قد دلا عليه.

---

(١) «شرح كتاب الفقه الأكبر» (٥٨- ٥٩).

(٢) «شرح أصول السنة»، اللالكائي (٣/ ٤٣٠- ٤٣١).

(٣) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦/ ٣٩٤).

أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدعي من الذي نفاه من دلالة النصوص، أو ما أوله عليها من المعاني البعيدة، لا يستطيع أن يقول هذا من عند الله جازمًا ذلك(١).

ثانيًا: القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف بين أمرين، كليهما باطل.

أما أن الصحابة لم يفهموا الحق في ذلك، وأن ظواهر هذه النصوص باطلة أو أنهم علموا الحق وفهموه ولكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين وكلا الأمرين باطل، لا يصح ولا يستقيم في حق السلف والصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثًا: حالة المتأولة هذه تجعلهم يُخْضِعون النصوص إلى معطيات العقل والحس، فخرجوا عن حد الاتصاف بالإيمان بالغيب.

رابعًا: المتأولة يردون النصوص إلى اعتقاداتهم وأصولهم الباطلة وإن كانت واضحة في الحجة والإثبات.

خامسًا: التأويل من أسباب تفرق الأمة وتمزقها والاختلاف في أصول الدين، وجعل بعضهم يلعن بعضًا، وبعضهم يكفر بعضًا، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم الأنفس والأموال والأعراض(٢).

والأدلة كثيرة في إبطال مذهب التأويل.



---

(١) انظر: «علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين»، رضا معطي، ص (١٣).

(٢) من «منهج الاستدلال في الاعتقاد» بتصرف (٢/ ٦٤، ٦٥، ٦٦).

المبحث الثاني

موقف أهل السنة من التفويض

معنى التفويض في اللغة:

« الفاء والواو والضاد، أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر ورده عليه »[١].

معنى التفويض في الاصطلاح:

هو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله تعالى: إما معنى وكيفية، أو كيفية فقط، وعليه فالتفويض قسمان:

الأول: تفويض المعنى والكيفية، وهو ما عليه بعض الخلف.

الثاني: تفويض الكيفية دون المعنى، وهو مذهب السلف وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضًا، بل المعروف عنه إثبات[٢].

حقيقة مذهب أصحاب التفويض

هم طائفة من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف وتعارض عندهم المعقول والمنقول فأعرضوا عنهما جميعًا، بقلوبهم وعقولهم بعد أن هالهم ما عليه أصحاب التأويل من تحريف للنصوص وجناية على الدين، فقالوا في أسماء الله وصفاته وما جاء في ذكر الجنة والنار، والوعد والوعيد، إنها نصوص متشابهة لا يعلم معناها إلا الله تعالى وجعلوا الوقف في آية آل عمران: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]. عند لفظ الجلالة[٣].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٢٦٠).

(٢) «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» (٢/ ٥٧٩- ٥٨٠).

(٣) «درء تعارض العقل»، بتصرف (١/ ١٥)، «شرح الطحاوية» ص (٥٣١).

❏ وللاستفادة في هذا الباب على القارئ أن ينظر إلى كتاب رضا النعسان «علاقة الإثبات والتفويض»، و« رسائل منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد».

التفويض ليس مذهبا للسلف

وهذا معلوم لدى المطلع على أقوال أهل السنة أن تفويض المعنى والكيف غير مراد عند السلف، وأنما يفوضون الكيف أما المعنى المراد من الآيات والأحاديث التي تظهر من ظواهر النصوص المعلومة بلغة العرب التي نزل بها القرآن وخاطبهم بها رسول الله ﷺ فهي معلومة عند أهل السنة ولا يفوضون معناها.

ويقول ابن تيمية في هذه المسألة: «إن كان المراد من الظاهر صفات الخلق فلا شك في أنها غير مراد وإن كان المراد من الظاهر المعاني التي تظهر من الآيات، والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تختص بصفات المخلوقين، فلا ريب في أن السلف كانوا يؤمنون بهذا والظاهر بهذا التحديد ولا ينفونه مطلقًا ومن ينفي عن السلف والإيمان بمعاني آيات الصفات وأحاديثها فقد أخطأ، أو تعمد الكذب، إذ ما نقل عن واحد من السلف لا نصًا ولا ظاهرًا إلا ما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله فوق العرش وأن له سمعًا وبصرًا ويدًا حقيقية»[1].

ولو اطلعت على كتب السلف وسيرتهم لظهر لك أن التفويض ليس مذهبًا للسلف لعدة أسباب ظهرت لي من خلال بحثي:

١- أن الآيات القرآنية التي تضمنت هذه الصفات الكريمة لله تعالى من الاستواء والمجيء، والرضا والغضب، والمحبة.. إلخ وأحاديث رسول الله ﷺ وأقوال بعض الصحابة عن هذه الصفات لله ﷻ يدل على أن المقصود منها الإثبات لا غير.

٢- أن الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من علماء السلف، تدل على أن مذهبهم إنما هو إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى.

٣- كثير ممن صنف في العقائد، ومن المتقدمين بين أن مذهب السلف هو إثبات المعنى وإنما التفويض في الكيف.

---

(١) «الحموية» ص (٦٤).

٤- إن الذين صنفوا في العقيدة من المتقدمين قد ذكروا الأحاديث التي تتعلق بالصفات ضمن أبواب رسائلهم، حتى إن ابن خزيمة أطلق على كتابه في ذلك، اسم كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، باب في إثبات وجه الله، وباب في إثبات العين لله، وباب في ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى، باب في صفة تكلم الله بالوحي، وهكذا فعل كثير ممن صنف في العقيدة السلفية مثل الدارمي، والإمام أحمد، وابن أبي عاصم والهدوي، واللالكائي، والآجري، والبيهقي، وأبو الحسن الأشعري، وابن بطة، وغيرهم.

٥- تبويب المحدثين لأحاديث الصفات في كتبهم دليل قاطع أيضًا على أن مذهب السلف هو إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ مثل تبويب البخاري باب قول الله ﷻ: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]. وباب قول الله ﷻ: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩].

ونكتفي بهذه الأسباب وإن كانت في مجملها كثيرة خوفًا من الإطالة.

شبهة والرد عليها وهي اتهام السلف بالتفويض

خيل لبعض الباحثين أن عصر السلف قد انقضى دون أن يحدث واحد منهم عن هذه القضية، وقالوا إن السلف كان مذهبهم هو السكوت والتفويض، لأنهم لم يشتغلوا بالبحث في هذه القضية، لانشغالهم بأمور الجهاد ونشر الدعوة، ولأنهم من جانب آخر لم تكن لديهم الدراية العقلية اللازمة لبحث هذه الأمور(١).

الرد على هذه الشبهة الباطلة

وهذا القول فيه إجحاف ومغالطة وجهل بموقف السلف، وهنا شبهة لابد من بيانها فإن المتأخرين من علماء الكلام قد اعتبروا أن آيات القرآن التي تحدثت عن الصفات الإلهية من المتشابه الذي كفَّ السلف أنفسهم عن الخوض فيه وفوضوا علمه إلى الله، ولذلك شاع في كتبهم أن مذهب السلف هو الكف والتفويض، وهذا القول ليس صحيحًا على

---

(١) انظر: كتاب «التوحيد مع إخلاص العمل لوجه الله ﷻ»، ص (٣١).

إطلاقه، ذلك أن السلف لم يقل واحد منهم: إن آيات الصفات متشابهة لا يعلم معناها إلا الله، ولم ينقل إلينا عن واحد أن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [١] [البروج: ١٤] من المتشابه الذي لا يعلمه إلا هو، أو أن معناها يشبه بمعنى قوله: ﴿ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤]. بل معنى آيات الصفات تكلم فيه السلف وأدلى كل منهم بقوله، ولذلك لم يكلفوا أنفسهم عن البحث في معنى الآية، لأن القرآن نزل بلغة العرب وبألفاظهم التي تحدثت عنها الآية، ولذلك يجب التنبيه إلى الفرق بين الموقفين، فالسلف قد تكلموا في معاني الصفات وآياتها، ولكن كفُّوا عن الحديث في كيفيتها أو تحديدها[٢].

وخلاصة مبحث التفويض عند السلف في باب الصفات: هو أن التفويض عند السلف في الكيفية فقط، فلا يعلم كنه الصفات إلا الله لذلك يفوضون علم الكيفية للخالق سبحانه، أما المفوِّضة وهم مذهب مبتدع وبعيد عن السلف في هذا الباب، فإنهم يفوضون اللفظ والمعنى ويعتقدون أن ظاهر الصفة غير مراد، ولذلك فهم يرون آيات الصفات من المتشابه، ومن ثم لم يعلم رسول الله ﷺ ولا صحابته وهذا ضلال مبين. والسلف يكرهون كثرة البحث والخوض في آيات الصفات وتعتبر عندهم من البدع المكروهة.

والنهي عن طلب التكييف في ذات الله وصفاته معلوم عند السلف، وذكر ذلك الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة وغيره من علماء أهل السنة والجماعة[٣].

واستدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**يسألكم الناس عن كل شيء حتى يسألوكم هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله**»[٤].

وعلاج ذلك هو الإمساك عن الخوض في هذه الأمور، والاستعاذة من الشيطان الرجيم، وقراءة سورة الإخلاص.

---

(١) وقد استفدت من كتاب «المفسرين بين التأويل والإثبات» للمغراوي وصفتها بأسلوبي مع إضافة بعض ما ظهر لي من خلال دراستي لهذا الموضوع جـ ١، ص (٤١-٤٣).

(٢) انظر: كتاب «التوحيد مع إخلاص العمل لوجه الله تعالى». ص (٣١).

(٣) انظر: «الحجة في بيان المحجة». (جـ ١/ ٩٢- ٩٣).

(٤) البخاري، «فتح الباري» كتاب «الاعتصام»، باب ما يكره من كثرة السؤال (١٣/ ٢٧٩) رقم (٧٢٩٦)، «الصواعق المرسلة» (١/٢١٥، ٢١٦).

الفصل الثالث

آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة

وأثر كل صفة في القلب

وعلاقة الصفات بالحاكمية لله تعالى

المبحث الأول

آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة

ومشهد الأسماء والصفات من أجلِّ المشاهد والمطلع على هذا المشهد يعرف أن الوجود متعلق خلقًا وأمرًا بالأسماء الحسنى والصفات العلى، ومرتبط بها وإن كل ما في العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها.

فاسمه الحميد، المجيد، يمنع ترك الإنسان سُدى مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه «الحكيم» يأبى ذلك، وهكذا فكل اسم من أسمائه له موجبات وله صفات فلا ينبغي تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه، فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة ويحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه فرحًا لا يخطر بالبال.

وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه بموجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك. وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه، وما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما: مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات، والمسامحة على الجنايات، مع كمال القدرة على استيفاء الحق، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها

فحلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته[1] كما قال الله على لسان عيسى عليه السلام في القرآن: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك لست كمن يغفر عجزًا، ويسامح جهلاً بقدر الحق، بل أنت عليمٌ بحقك، قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به.

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم، وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال وغايتها أيضًا مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته. فللّه في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة، والآيات الباهرة.

والله سبحانه دعا عباده إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأمرهم بشكره ومحبته وذكره، وتعبدهم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، لأن كل اسم له تعبد مختص به، علمًا ومعرفة وحالاً، وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا يحجبه عبودية اسم عن اسم آخر، كما لا يحجبه التعبد باسمه «القدير» عن التعبد باسمه «الحليم الرحيم» أو يحجبه عبودية اسمه «المعطي» عن عبودية اسمه «المانع» أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسمه «المنتقم» أو التعبد بأسماء «البر والإحسان واللطف» عن أسماء «العدل والجبروت والعظمة والكبرياء» وهذه طريقة الكمال من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء ودعاء التعبد[2].

وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»، ص (٤١٧- ٤١٨).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩).

فالله سبحانه وتعالى يُحب موجب أسمائه وصفاته، فهو «عليم» يحب كل عليم وهو «جَوَادٌ» يحب كل جواد، «وتر» يحب الوتر «جميل» يحب الجمال «عفو» يحب العفو وأهله، «حَيي» يحب الحياء وأهله «بَرٌّ» يحب الأبرار «شكور» يحب الشاكرين «صبور» يحب الصابرين «حَليم» يحب أهل الحلم. فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح: خلق من يغفر لهم ويتوب عليهم ويعفو عنهم، وقدر عليهم ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له، ليترتب عليه المحبوب له والمرضي له[١].

وظهور أسماء الله وصفاته في هذه الحياة وفي النفس البشرية وفي الكون كله واضح، لا يحتاج إلى دليل، إلا أن الاهتداء إلى تلك الآثار أو الانتباه لها يتوقف على توفيق الله تعالى، بل إن التوفيق نفسه من آثار رحمته التي وسعت كل شيء.

فلو فكر الإنسان في هذا الكون الفسيح وفي نفسه لرجع من هذه الجولة الفكرية، بعجائب، واستفاد منها فوائد ما كان يحلم بها ولو تأملنا هذه الآية الكريمة لرأينا أمورًا تعجز عن التعبير عنها قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

ومما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تثمره أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة[٢].

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فكل اسم من أسماء الله له تأثير في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها فالأسماء الحسنى والصفات

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٢٠).

(٢) انظر: «دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات»، للتميمي (١٤- ١٥).

العلى مقتضية لأثرها من العبودية، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح فمثلاً: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية[1] الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكذلك معرفته بجلال الله وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها.

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها[2].

وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب: هي أكمل الأحوال، وأجلُّ وصف يتصف به القلب وينصبغ له، ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين[3].



---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٩٠).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٩٠) لابن القيم.

(٣) انظر: «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، للسعدي (١٣٠).

المبحث الثاني

لكل صفة من صفات الله أثر في قلب المؤمن

وقد يظن بعض الذين يدَّعون العلم، وممن لاحظ لهم من علوم الشريعة، أن معرفة أسماء الله وصفاته لا تؤثر في الإيمان بالله من حيث الزيادة والنقصان، ولا تؤثر في القلوب، ولذلك لا فائدة من معرفتها أو جهلها أو إثباتها أو إنكارها، وقد توسع في هذا الجانب الفلاسفة الذين وصفوا الله تعالى بصفات من عند أنفسهم وأنكروا وجحدوا ما وصف الله به نفسه ووصف به رسوله ﷺ ومما لا ريب فيه أنه ليست هناك صفة لله في القرآن أو في السنة إلا وقد ساقها الله تعالى لحكمة ومنفعة وغاية ولولا ذلك لما ساقها ولما ذكرها، لأن كلامه وكلام رسوله ﷺ ينزه عن العبث واللغو والحشو.

ومن ظن أن الله يحشو كلامه بما لا فائدة في ذكره أو لا غاية من ورائه أو لا أهمية له فقد اتهم الله بالنقص واللغو، ولبيان أن لكل صفة من صفات الله أثرًا في قلب المؤمن سنبين ذلك ببعض التفصيل في الصفحات القادمة من حيث إن لكل صفة في القلب أثرًا يتضح ذلك، ويخرج في السلوك البشري فلا تجد صفة من صفات الله إلا ولها أثر وفائدة، وإنما الذي ينكر الأثر هم الجهلة والجاحدون، أما علماء أهل السنة والجماعة فبينوا ذلك الأمر بيانًا أوضح من الشمس في رابعة النهار.

أثر صفة العظمة

وهذه الصفة مشتقة من اسمه تعالى العظيم، والعظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والمقصود أن عظمة الله سبحانه لا يمكن أن يتصف بها أحد من خلقه والله خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس من يُعظم المال، ومنهم من يُعظم لفضل، ومنهم من يُعظم علم، ومنهم من يُعظم لسلطان، ومنهم من يُعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظم لمعنى دون معنى، والله ﷻ يُعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف

أن كل فرد تحرى أن يكون عمله حميدًا لصلح أمر الناس في الدنيا والآخرة، ولاختفت المنازعات فيما بينهم والخصومات ولعاشوا جميعًا إخوة في الله متحابين[١].

اثر اسم الله المهيمن

ومن آثار هيمنته سبحانه أنه يملك أن يتصرف في خلقه كيف يشاء لأنهم ملكه، والمالك من حقه أن يتصرف في ملكه بكافة أنواع التصرف، ومن نماذج هذه التصرفات ما ذكره الله تعالى تنبيهًا وتذكيرًا، باستمرار وشمول هيمنته على خلقه سبحانه وتعالى[٢]:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣- ٦٥].

وإذا شعر القلب بهيمنة ربه عليه لجأ إليه وطلب العون منه لدفع ضر أو جلب نفع، والآيات في هذا الباب كثيرة، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ.

اثر صفة العلو في قلب العبد

إذا أيقن العبد أن الله تعالى فوق السماء، عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية، وأنه الآن في صفاته كما كان في قدمه، وكان لقلبه في صلاته وتوجهه، ودعائه ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السماء على عرشه، فإنه يبقى ضائعًا لا يعرف وجهة معبوده، ولكن ربما عرفه بسمعه، وبصره، وقدمه وتلك بلا هذا معرفة ناقصة، بخلاف من عرف أن إلهه الذي يعبده فوق الأشياء، فإذا دخل في الصلاة وكبر، توجه قلبه إلى العرش منزهًا له تعالى، مفردًا له كما أفرده في قدمه وأزليته.

---

(١) انظر: «مفهوم الأسماء والصفات» مقال في مجلة الجامعة الإسلامية للشيخ سعد ندا، ص (٧٠- ٧١) العدد (٥٩).

(٢) انظر: «مفهوم الأسماء والصفات» مقال في مجلة الجامعة الإسلامية للشيخ سعد ندا، ص (٨٠)، العدد (٥٩).

ويعتقد أنه في علوه قريب من خلقه، وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره، وإحاطته، وقدرته، ومشيئته، وذاته، فوق الأشياء، فوق العرش، ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أشرق قلبه، واستنار، وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان وعكفت أشعة العظمة على قلبه، وروحه، ونفسه، فانشرح لذلك صدره، وقوي إيمانه، ونزه ربه عن صفات خلقه، ومن الحصر والحلول، وذاق حينئذ شيئًا من أذواق السابقين المقربين[(١)].

ويجب على دارس الأسماء والصفات وعلى قارئ كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ أن يتأمل معاني هذه الصفات وما دلت عليه ليستشعر المراقبة الكاملة التامة من الله تعالى حتى تقبل جميع حركاته وسكناته حتى يجني ثمرة إيمانه بتلك الصفات في حياته العملية ونضرب لذلك مثلاً وهي صفة السمع[(٢)].

الر صفة السمع

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة للنبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾..**» [المجادلة: ١] [(٣)].

أقول: لو أن دارسي الصفات ومدرسيها تأملوا ما دلت عليه هذه الصفات وأشعر المرء نفسه أنه مراقب في جميع أحواله وأن ما ينطق به لسانه يسمعه خالقه من فوق سبع سماوات في حينه وأنه سيجازيه على ذلك لانعكس على سلوكه وأخلاقه وأعماله وسيرته في مجتمعه، ولظهرت الأخلاق الربانية وأصبح الشخص وليًا يمشي على وجه الأرض

---

(١) انظر: «النصيحة في صفات الرب جلّ وعلا» للواسطي، ص (٥٠).

(٢) كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد»، بتصرف من تعليق الشيخ علي بن ناصر، ص (٢٥- ٢٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب «التوحيد» تعليقًا (١٣/ ٣٨٤).

ولشعر أن الأخلاق الرفيعة ثمرة من ثمرات التوحيد، وبقدر ما يملك العبد من الإيمان والتوحيد ينعكس ذلك ويظهر على أخلاقه.

المبحث الثالث

وصف الله نفسه بالمغفرة لا يعني الإسراف في المعاصي

وصف الله نفسه سبحانه بأنه غفار وغفور للذنوب والخطايا والسيئات لصغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه الإنسان واستغفر ربه قبل الله توبته وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

مهما كبرت ذنوب هذا الإنسان فإن مغفرة الله ورحمته أعظم من ذنوبه التي ارتكبها قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ ﴾ [النجم: ٣٢].

وقد تكفل الله سبحانه بالمغفرة لمن تاب وآمن قال تعالى:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

ومن فضله وجوده وكرمه تعهد أن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

ولكن لا يجوز للمسلم أن يسرف في الخطايا والمعاصي والفواحش بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين[١].

قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥].

(١) «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، بتصرف للمحمود، ص (١٥٠- ١٥١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل: ١١].

فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى الصالحات والحسنات لكي تتحقق المغفرة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨].

يبين الله أن المقيم على الشرك حتى الوفاة لا غفران لذنوبه، لأنه لم يبدل حسنًا بعد سوء وكذلك قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون: ٦] (١). لأنهم لم يخلصوا دينهم لله ولم يصلحوا من أحوالهم وأما إذا حصل ذلك فإن المغفرة تحصل لهم مع المؤمنين قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦].

فلابد من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، وأما إن مات وهو مقيم على الكبائر من غير أن يتوب، فإن مذهب أهل السنة والجماعة، أنه ليس له عهد عند الله بالمغفرة والرحمة، بل إن شاء غفر له وعفا عنه لفضله كما قال ﷻ: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وإن شاء عذبه في النار بعدله، ثم يخرجه منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يدخله الجنة وذلك للموحدين خاصة(٢).



---

(١) «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، بتصرف. ص (١٥٢).

(٢) «شرح الطحاوية»، بتصرف. ص (٤١٦- ٤٢١).

من لوازم استحقاق الله تعالى لصفات الكمال وحده

تفرده سبحانه بالحاكمية

اعلم أن الله ﷻ بين في آيات كثيرة، صفات من يستحق أن يكون له الحكم، فعلى كل عاقل أن يتأمل الصفات المذكورة التي سنوضحها الآن إن شاء الله تعالى، ويقابلها مع صفات البشر المشرعين للقوانين الوضعية، فينظر هل تنطبق عليهم صفات من له التشريع سبحان الله وتعالى عن ذلك.

فإن كانت تنطبق عليهم – ولن يكون – فليتبع تشريعهم، وإن ظهر يقينًا أهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف عند حدهم، ولا يجاوز بهم إلى مقام الربوبية سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه فمن الآيات القرآنية التي أوضح لها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٠].

ثم قال مبينًا صفات من له الحكم: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ١٠-١٢].

فهل من الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور، ويتوكل عليه، وأنه فاطر السماوات والأرض وخالقها ومخترعها، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجًا وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣]. الآية، وإنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

(١) «أضواء البيان»، بتصرف (٧/ ١٦٣).

وإنه: ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ١٢]. وإنه سبحانه وتعالى: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ١٢]. أي يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم.

فعليكم أيها المسلمون أن تفقهوا صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم، ولا تقبلوا تشريعًا من كافر خسيس حقير جاهل[١].

ومن الآيات الدالة على ذلك: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦].

فهل من الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأن له غيب السماوات والأرض؟ وأن يبالغ في سمعه وبصره لإحاطة سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات؟ وأنه ليس لأحد دونه من ولي؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا[٢].

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

فهل من الكفرة الفجرة المشرعين من يستحق أن يوصف بأنه الإله الواحد؟ وأن كل شيء هالك إلا وجهه؟ وأن الخلائق يرجعون إليه؟.

تبارك وتعالى وتعاظم وتقدس ربنا أن يوصف أخس خلقه بصفاته[٣].

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

سبحانك ربنا وتعاليت عن كل ما لا يليق بكمالك وجلالك، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠].

---

(١) «أضواء البيان» بتصرف (٧/ ١٦٥).

(٢) «أضواء البيان» بتصرف (٧/ ١٦٥).

(٣) «أضواء البيان» بتصرف (٧/ ١٦٥).

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٠- ٧٣].

فهل من مشرعي القوانين الوضعية، من يستحق أن يوصف بأن له الحمد في الأولى والآخرة، وأنه هو الذي يصرف الليل والنهار مبيِّنًا بذلك كمال قدرته وعظمة إنعامه على خلقه؟ سبحانه خالق السماوات والأرض، جلَّ وعلا أن يكون له شريك في حكمه أو عبادته أو ملكه[1].

وعلى الدعاة إلى الله الذين يهتمون بالدعوة إلى تحكيم شرع الله تعالى أن لا يهملوا تعليم الناس صفات ربهم، لأن في نشر بقية الصفات في الأُمة أعظم معين لهم على تذكير الناس بربهم ودفع الناس إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه واستحقار شأن الجبابرة من ملوك الأرض الذي يشرعون لأنفسهم ولشعوبهم ما لم يشرعه الله، ولاستطاعوا تنفير الناس عن التحاكم إلى الطواغيت، بل أقنعوا الناس بضرورة التحاكم إلى الملك الجبار الذي تتضاءل في يده السماوات والأرض[2].



(١) «أضواء البيان»، بتصرف (٧/ ١٦٦).

(٢) الرد على من أنكر توحيد الأسماء، بتصرف، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق (٢٦).

الباب الرابع

أقوال بعض مفسري أهل السنة في آيات الصفات وعلماء نصر الله بهم مذهب السلف وبيان بعض المتكلمين الذين رجعوا إلى مذهب السلف ونصائح وأحكام في باب الصفات

الفصل الأول– وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: ابن جرير الطبري.

المبحث الثاني: موقف الإمام البغوي من آيات الصفات.

المبحث الثالث: موقف الحافظ ابن كثير من آيات الصفات.

المبحث الرابع: موقف العلامة القاسمي من الصفات.

المبحث الخامس: موقف عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

الفصل الثاني– وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أحمد بن حنبل.

المبحث الثاني: ابن تيمية.

المبحث الثالث: محمد بن عبد الوهاب.

الفصل الثالث: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أبو الحسن الأشعري.

المبحث الثاني: أبو حامد الغزالي.

المبحث الثالث: الإمام الجويني.



الفصل الأول

أقوال بعض مفسري أهل السنة في آيات الصفات

وقد رأيت أن أبين في بحثي هذا مَنْ نهج منهج السلف في تفسير آيات الصفات وخصوصًا أن علماء التفسير أخطأ منهم الكثير الطريق في هذا الجانب العظيم.

واخترت مجموعة على فترات متباينة من التاريخ، أي من المتقدمين ومن المتأخرين، ونبدأ على بركة الله مع شيخ المفسرين الإمام الجليل ابن جرير الطبري.

المبحث الأول

ابن جرير الطبري المتوفى سنة «٣١٠ هـ»

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام العلامة الحافظ المؤرخ[١].

قال المغراوي في كتابه «المفسرون بين التأويل والإثبات» عند ابن جرير الطبري:

«إنه في تفسيره التزم المنهج الصحيح لم يسبقه أحد ولم يلحق به إلا ملخص لتفسيره كابن كثير أو آخذ منه كبقية المفسرين»[٢].

عقيدته في الأسماء والصفات

سلفي العقيدة، على منهج أهل السنة والجماعة خصوصًا في هذا الباب، بل من جاء بعده عالة عليه، فيمن نهج منهج السلف في باب الأسماء والصفات، بل كان له كتاب سماه «صريح السنة»، وضح فيه عقيدة أهل السنة، وأزاح عنه الغبار، ودحض الشُّبَه، وأوضح المعالم، وهو مطبوع يباع في الأسواق.

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٢)، «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤٩٨).

(٢) «المفسرون بين التأيل والإثبات» (١/ ١٢٥) للمغرواي.

أما عقيدته في التفسير فهو فحلٌ لا يجارى، نصر مذهب السلف واحتج له ودافع عنه في غير صفة ولا سيما في صفة اليد والرؤية والاستواء، وهو إمام حجة، فارس الميدان في أبواب التفسير.

مثال في تفسير صفة المحبة عند الطبري:

قال الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤].

يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: أي: صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ يقول من يرجع منكم عن دينه الحق، الذي هو يرجع عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله الكفر، إما في اليهودية، أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئًا.

وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يقول: فسوف يجيء الله بدلاً منهم بالمؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، وهم قوم خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم يحبهم الله ويحبونه[1].

وواضح من سياق الآيات وتفسيرها أنه أثبت صفة المحبة إثباتًا يليق به وهو ظاهر الآيات، ولا يوجد تأويل ولا تحريف عن محلها الصحيح، فجزاه الله عن المسلمين خيرًا.

المبحث الثاني

موقف الإمام البغوي المتوفى سنة «٥١٠ هـ»

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الإمام الحافظ محيي السنة[2].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ١٨٢).

(٢) «تذكرة الحافظ»، للذهبي (١٢٥٧)، «شذارت الذهب» (٤/ ٤٨).

عقيدته في الأسماء والصفات

سلفي العقيدة، يثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، له مقدمة مفيدة في كتابه شرح السنة بين عقيدة السلف في الأسماء والصفات، فلم يقع في التشبيه ونجاه الله من التعطيل.

صفة اليد في تفسير البغوي

قال عند قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع، والبصر، والوجه، وقال جلَّ ذكره: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]. وقال النبي ﷺ: «**كلتا يديه يمين**»[١] والله أعلم بصفاته، فعلى العبد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات أمروها كما جاءت[٢].

فهذا الذي قدره[٣] البغوي في تفسير هذه الآية، في إثبات اليد وغيرها، هو مذهب السلف الصالح الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تكييف ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تشبيه.

المبحث الثالث

موقف ابن كثير المتوفى سنة «٧٧٤ هـ»

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرٌ الدمشقي الشافعي الإمام الحافظ المؤرخ[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب «الإمارة»، باب فضل الإمام العادل (٣/ ١٤٥٨).

(٢) انظر: «تفسر البغوي» (٢/ ٥٠).

(٣) كذا بالأصل والصواب «ذكره».

(٤) «طبقات المفسرين للداوي» (١/ ١١١- ١١٣).

عقيدته في الأسماء والصفات

للحافظ ابن كثير رسالة قيمة سماها «العقائد» بيَّن فيها عقيدته قال ما لفظه: «فإذا نطق الكتاب العزيز، ووردت الأخبار الصحيحة بإثبات السمع، والبصر، والكلام، والرضا والسخط، والحب والبغض، والفرح، والضحك، وجب اعتقاد حقيقة ذلك، ومن غير تشبيهه بشيء من صفات المربوبين المخلوقين، والانتماء إلى ما قاله سبحانه وتعالى ورسوله، من غير إضافة، ولا زيادة عليه ولا تكييف له، ولا تشبيه ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه والإمساك عما سوى ذلك»[(١)].

إثبات صفة المحبة:

قال في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشريعة المحمدية، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله»[(٢)]، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٣)].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) «علاقة الإثبات والتفويض»، لرضا نعسان معطي ص (٥١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٦).
(٣) أخرجه مسلم في كتابه «الأقضية» (٣/ ١٣٤٤ رقم ١٧١٨).

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول كما قال بعض الحكماء ليس الشأن أن تُحِبَ، إنما الشأن أن تُحَبَّ، وقال الحسن البصري، وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله تعالى بهذه الآية فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن خلال تفسير ابن كثير - رحمه الله - للآيات السابقة نلاحظ، أن الحافظ ابن كثير يثبت صفة المحبة على ما هو ظاهر من تفسيره للآية، فقد فسرها على ظاهرها، و لم يؤول شيئًا منها.

المبحث الرابع

موقف العلامة القاسمي المتوفى سنة «١٣٣٢ هـ»

هو محمد جمال الدين القاسمي من المصلحين الكبار في بلاد الشام ويعتبر من نوادر الأيام، ومُحيي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقضه[١] الزمن[٢].

عقيدته في الأسماء والصفات

يعتبر تفسير القاسمي مصدرًا كبيرًا في التعبير عن العقيدة السلفية السهلة السمحة، وجمع من أقوال ابن تيمية، وابن القيم في ذلك مباحث كثيرة[٣].

تفسيره لصفة الاستهزاء:

قال عند قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]. يسخر بهم للنقمة منهم

(١) كذا بالأصل، والصواب «يقتضيه».

(٢) «المفسرون بين التأويل والإثبات» (١/ ٢٢٧).

(٣) «المفسرون بين التأويل والإثبات» (١/ ٢٢٧).

وهكذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما بما رواه الضحاك[١].

ونجده فسر الآيات بقول ترجمان القرآن، وحبر الأمة وعالمها الرباني وأحد العبادلة الأربعة، الذي شهرته غنية عن التعريف.

المبحث الخامس

موقف عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة «١٣٧٦ هـ»

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي التميمي القصيبمي العلامة المفسر الفقيه صاحب التصانيف[٢].

عقيدته في الأسماء والصفات

نجد فيها النور السلفي يتلألأ.

قال عند قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢]. اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فله نصيب منها، واعلم أن القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأن رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، فيقال في العليم إنه عليم ذو علم يعلم كل شيء قدير يقدر على كل شيء[٣].

والشيخ رحمه الله تعالى نصر مذهب السلف، ورفض تأويلات الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وردَّ عليها في دروسه وخطبه وكتبه ورسائله الجمة.

---

(١) تفسير القاسمي (٢/ ٥٠).

(٢) علماء نجد (٢/ ٤٢٢).

(٣) تفسير سورة الفاتحة (١/ ٢٣) للسعدي.

الفصل الثاني

علماء نصر الله بهم مذهب السلف

وأثناء بحثي في التراجم للشخصيات التي كان لها دور بارز في نصرة مذهب السلف، وجدت الكثير ممن أكرمهم الله بصفاء المنهج، وقوة الحجة، وشدة الغيرة، وبذل الجهد والسعة والطاقة وكل ما يملكون في سبيل نصرة دينهم، فقمع الله بهم البدعة، ونصر الله بهم السنة، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وأعلى ذكرهم في الصالحين، فاخترت ثلاثة من هؤلاء، من قرون متباعدة، وهم أحمد بن حنبل، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب.

المبحث الأول

أحمد بن حنبل – رحمه الله –

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان الشيباني[1].

من أبرز الأئمة الأربعة والذي كان له باع في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة، والدفاع عنها، وتحمل في سبيل ذلك الأذى والمحن، وله عدة كتب خاصة في العقيدة إلى جانب ما دونه في مسنده، وأهمها كتاب السنة وكتاب الإيمان، والرد على الزنادقة والجهمية، وفضائل الصحابة[2].

---

(١) «وفيات الأعيان» (١/ ٦٢٠).

(٢) «وجوب لزوم الجماعة وذم التفريق» ص (٢٨١).

قال الذهبي في كتابه «المصعد الأحمد»:

«هو عالم العصر، وزاهد الوقت، وباذل نفسه في المحنة، وقل أن ترى العيون مثله، كان رأسًا في العلم والعمل، والتمسك بالأثر، ذا عقل رزين، وصدق متين، وإخلاص مكين، وخشية ومراقبة العزيز العليم، وذكاء وفطنة وفهم وسعة علم، هو أجل من أن يمدح بكلمي، وأن يفوه بذكره فمي»[1].

محنة الإمام أحمد ودفاعه عن السنة وإذكاره لخلق القرآن

إن المؤلفات في هذه المحنة كثيرة، وقد جمع الشيخ عبد الغني الدقر في كتابه «أحمد بن حنبل إمام أهل السنة» جمعًا تقر به أعين الباحثين فاعتمدت على الله أولاً ثم استفدت من ذلك الكتاب في محنة الإمام.

رفض الإمام أحمد - رحمه الله - القول بخلق القرآن فطلبه المأمون فأرسل إليه، وكان معه محمد بن نوح وكانا مقيدين، وفي الطريق دعا أحمد بن حنبل على المأمون فمات، فرجع به إلى بغداد، ومات زميله في الطريق، وعندما تولى الخلافة المعتصم، امتحن أحمد رحمه الله أمام السياط والتعذيب والسجن، عذب في الله عذابًا شديدًا وكان مكثه في سجنه منذ حمل إلى أن ضرب وخلي سبيله، ثمانية وعشرين شهرًا، ولقد أوذي في الله حتى أن قطعًا من لحمه ماتت وقطعها الجرَّاح من جيده حتى لا تسبب له تسممًا من التعفن، ولقد كانت قوة إيمانه عجيبة، وصبره أغرب ما يكون، وأقدم على النفي بقول خلق القرآن، وأقدم من لا يخشى إلا الله، وأخذ بالعزيمة، وترك الرخصة لأهلها، لقد دحض الله به البدعة، ونصر به السنة، ثبته وأكرمه وأعلى ذكره، بعد أن مر بالمحن، وجاء زمن الواثق فأصبحت للإمام مكانة لا تُدانيها مكانة، وانتقم الله من أحمد بن دؤاد وأمثاله وأشياعه[2].

---

(١) «المصعد الأحمد». ص (٢٠).

(٢) من كتاب أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، عبد الغني الدقر (١٤٦- ١٩٦) بتصرف.

ثناء العلماء على الإمام أحمد بن حنبل

قال قتيبة بن سعيد: «أحمد بن حنبل إمامنا، من لم يرض به فهو مبتدع»[(١)].

وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: «من سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام»[(٢)].

وفاته: في يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل أعظم سند للسنة وأهلها، في القرن الثالث، وتوفي وله من العمر سبع وسبعون سنة وأيام.

المبحث الثاني

ابن تيمية

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحرَّاني ثم الدمشقي الحنبلي[(٣)]. ولد سنة ٦٦١ هـ بحرَّان[(٤)].

جولاته وصولاته معروفة في الدفاع عن منهج السلف، وفي قمع البدع، وحرب الخلافات، وكشف الزيف والباطل، كان حربًا على أهل الفلسفة وعلم الكلام.

قال الذهبي فيه: «هو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما هو رأى مثل نفسه في العلم»[(٥)].

قال عنه أبو الحسن الندوي في كتابه رجال الفكر والدعوة: «رفع لواء الحرب على الفلسفة اليونانية ولم يتفاهم معها بحال من الأحوال، فناقش مقدمات المنطق والمسائل

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٥).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨).

(٣) «شذرات الذهب» (جـ٦/ ٨١، ٨٢).

(٤) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٢٩).

(٥) «شذرات الذهب » (جـ٦/ ٨٢).

الفلسفية كناقد خبير في كتابه الرد على المنطقيين، وتناولها بعملية جراحية، وزعزع أسسها الكلية، حتى إنه لم يترك موضعًا إلا وثقبه بسهامه الحادة»[١].

وكان معوله لا يكل ولا يمل ضد من حارب الله ورسوله ﷺ، من الباطنية، والصوفية والرافضة، والنصارى، واليهود والمتكلمين من المعتزلة والأشاعرة فقرأ كتب المعتزلة والأشاعرة مثل أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه، والباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي، والرازي، وغيرهم من متأخري الأشاعرة، ورد عليها، ونصر الله به أهل السنة.

ومن أهم كتبه: «درء تعارض العقل والنقل» الذي أجاد فيه الرد على الفلاسفة والمتكلمين. ومن كتبه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم». «والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، و «الرسالة التدمرية» وهي تعالج مشكلة الصفات الإلهية، واختلاف الفرق في إثباتها أو نفيها[٢]، كما تعالج مشكلة التوحيد في العبادة، ومعنى الإله، والفرق التي خاضت مشكلة القضاء والقدر، وأقسام الناس في العبادة. و«العقيدة الحمدية» وهي جواب عن سؤال ورد في حماة سنة ٦٩٨ في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. والأحاديث الواردة في ذلك.

و «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الرحمن»[٣]. و «شرح النزول»، و «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة». وكتاب «الاستعانة» المعروف في الرد على البكري. و «الصارم المسلول على شاتم الرسول». و «فتاوى ابن تيمية».

وهذه الكتب القيمة في مجموعها شرح لمنهج السلف، ورد على من يخالف هذا المنهج، بالنقل والعقل والفطرة[٤].

وفاته: كانت سنة ٧٢٨ هـ[٥].

---

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٢/ ٩٥ إلى ٢٢٩).

(٢) ابن تيمية وجهوده في التفسير ص (١٠١ إلى ١١٢).

(٣) كذا بالأصل، وهو خطأ فاحش، والصحيح «أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

(٤) ابن تيمية وجهوده في التفسير ص (١٠١ إلى ١١٢) لإبراهيم خليل بركة.

(٥) «البداية والنهاية» لابن كثير (جـ٧/ ١٤١).

المبحث الثالث

محمد بن عبد الوهاب

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من بني تيم الذين ينحدرون من مُضر الحمراء من العرب الخُلص من نزار من عدنان(١).

ولد في العيينة سنة ١١١٥ هـ الموافق ١٧٠٣ م ونشأ في حجر والده عبد الوهاب، وهو أحد أعيان علماء البلد والقاضي فيها، عرف في الصغر برجاحة العقل وفصاحته، وقوة الذاكرة، وحفظ القرآن الكريم قبل عشر سنين، وعندما بلغ طلب العلم على والده، وسافر إلى المدينة والبصرة والأحساء، وتعلم علومًا غزيرة في اللغة والحديث والتفسير وغيرها من العلوم(٢).

وكانت فترة ظهور الشيخ مظلمة للعالم الإسلامي حيث كثرت الخرافات والتصوف والبدع والشعوذة والضلال بين الناس، فأحيا الله به كتابه وسنة نبيه وحورب الشيخ من أعدائه، فصبر واحتسب، وركز في دعوته على أصول مهمة منها:

١- توحيد العبودية ويقال لها الألوهية أيضًا، وقد كتب في هذا التوحيد عدة رسائل وكتبًا لأهميته، وكتب فيه من بعده أولاده وأحفاده بتوسع وشرح بعض كتب الشيخ في كتب التوحيد.

٢- منع التوسل المبتدع مع إقراره بالتوسل المشروع(٣).

٣- منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بقصد العبادة في مكان ما. ولا يدخل في المنع سفر طلب العلم أو سفر التجارة أو زيارة الأحياء كشيوخ العلم وزيارة الصالحين.

---

(١) كتاب «داعية التوحيد، محمد بن عبد الوهاب»، للشيخ عبد العزيز سيد، ص (٤١).

(٢) كتاب «داعية التوحيد، محمد بن عبد الوهاب»، للشيخ عبد العزيز سيد، ص (٤١).

(٣) «الصفات الإلهية»، بتصرف (١٢١).

٤- منع البناء على القبور، وكسوتها، وإسراجها، والعكوف عندها، لأن ذلك باب إلى الشرك، وذريعة له كما هو معروف.

٥- وله رسالة في الأسماء والصفات قال فيها: «الذي نعتقده وندين لله به، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان من الأئمة الأربعة وأصحابهم رضي الله عنهم، وهو الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها، والإقرار بها وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقدر الله لأصحاب نبيه، ومن تبعهم بإحسان، الإيمان، فعلم قطعًا أنهم المرادون بالآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فثبت بالكتاب أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق، ومن خالفهم، فهو على الباطل. فمن سبيلهم في الاعتقاد، الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله، أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام من غير زيادة عليها ولا نقصان منها، ولا تجاوز لها، أمروها كما جاءت[١].

وأنكر البدع، وجاهد في الله حق جهادة رحمه الله.

وفاته: توفي في سنة ١٢٠٦ واستمرت الدعوة من بعده ولا زالت مستمرة بإذن الله.



(١) «الصفات الإلهية»، بتصرف (١٢٧ إلى ١٣٢).

يبطلها بالحجج والبراهين، شيخ من شيوخ الجامعة الإسلامية، فأيده الله بحجج قواطع وأدلة نواصع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهو الشيخ حمَّاد الأنصاري، فألف رسالة قليلة الوريقات، غزيرة النفع أوضح فيها إثبات كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري.

قال الشيخ **حماد بن محمد الأنصاري** في كتابه «أبي الحسن الأشعري وعقيدته» بعد أن ذكر أقوال العلماء الجهابذة في إثبات كتاب الإبانة للشيخ أبي الحسن الأشعري – رحمه الله-:

وهذه نُقُول الأئمة الأعلام، أعلام الإسلام قد تضمنت بالصراحة التي لا يناطح عليها عنزان ولا يمتري فيها اثنان أن كتاب الإبانة ليس مدسوسًا على أبي الحسن الأشعري كما زعمه بعض الأغمار من المقلدة بل هو من تآليفه التي ألفها أخيرًا واستقر أمره على ما فيها من عقيدة السلف التي جاءت في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وبعد هذه النقول الدالة دلالة واضحة على صحة نسبة الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري وأنها آخر كتاب صنف[١]، ووضح الشيخ حمَّاد بن محمد الأنصاري أن أبا الحسن الأشعري تاب من التعطيل والتحريف والتأويل، كما أنه لم يسبق عليه أن كان صاحب تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل بل هو مثبت ومعتقد لكل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى في كتابه أو أخبر به نبيه عليه الصلاة والسلام[٢].



(١) أبو الحسن وعقيدته، ص (١٧).

(٢) أبو الحسن وعقيدته. ص (١٧).

المبحث الثاني

أبو حامد الغزالي

من المعروف عن الغزالي – رحمه الله – أنه قد مر بمراحل عديدة كل مرحلة منها لها منهجها ومبادئها، وتأثيرها الواضح عليه. فمن الغزالي الفيلسوف، إلى الغزالي الباطني، إلى الغزالي المتكلم إلى الغزالي المتصوف.. إلخ.

وقد قال عن أصناف المذاهب إن أصناف الطالبين عنده انحصرت في أربع فرق:

المتكلمون: وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر.

الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.

الصوفية: وهم يدَّعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة[1].

ورأى أن الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع، وخلاصة القول أن الغزالي خاض تجربة نادرة، وسبر المسالك، وغاص في بطونها، وما وصل إلا لزيادة حيرة ودهشة وخرج بنتيجة ثمينة لمن يريد أن يطلب الحق بتجردوإليك ما وصل إليه من كتاب إلجام العوام عن علم الكلام وكيف دعا بقوة إلى الرجوع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

قال: «إن الصحابة – ﷺ – كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ فما زادوا على أدلة القرآن شيئًا، وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية، وترتيب المقدمات كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن، ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان»[2] وهو ممن خاضوا البحر الخضم، وتركوا أهل الإسلام وعلومهم، ثم رجعوا إلى العقيدة السليمة.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف، عبد الرحمن دمشقية (٤٩– ٥٠).

(٢) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص (٨٩– ٩٠).

المبحث الثالث

إمام الحرمين الجويني

«لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي»[١].

وكلام الجويني واضح في نصيحته في الابتعاد عما نهى أهل الإسلام عنه، ويتيقن – رحمه الله– أنه هالك لا محالة إن لم يدركه ربه برحمته.

المبحث الرابع

الفخر الرازي

ومن تأمل الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رآها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، فرجع إلى طريقة القرآن الإمام الشيخ الفخر الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠].

واقرأ في النفي: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٠]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٢].

وهذه نبذة موجزة عن أقوال بعض الذين أكرمهم الله بالرجوع إلى مذهب السلف

(١) «العقيدة الحمية» ص (٧).

(٢) «العقيدة الحمية» ص (٧).

تدل دلالة واضحة على أن منهج أهل السنة والجماعة أسلم وأحكم وأعلم، فلو كانت مناهج المخالفين أحكم وأعلم، فلماذا رجع أئمة مناهج الكلام عن مناهجهم، وعضوا بالنواجذ على طريقة القرآن، وطريقة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام؟.

لا شك أنهم وجدوا السلامة في منهج أهل السنة والجماعة.



الفصل الرابع

نصائح وأحكام في باب الصفات

المبحث الأول

التنبيه على خطورة التكلم في صفات الله بغير علم

والكلام في صفات الله صعب، والدخول فيها شديد ومن تكلم في صفات الله بما لا يليق به، ونسب إليه ما لا يحسن في صفاته، وترك الاتباع وآثر الاختراع ضل عن الهدى وقد ذم الله الذين يخوضون في آياته فقال عزَّ من قائل لنبيه ﷺ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

فأمر بالإعراض عنهم، ثم أمر نبيه ﷺ أن يبين للمؤمنين ما أنزله إليه من كلامه فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

وكل ما بينه الله تعالى، أو رسوله ﷺ فقد كفانا الله مئونته، وما لم يبينه، فالمرجع فيه إلى كلام الصحابة، والعلماء المقتدى بهم الذين هم أعلام الهدى.

- قال ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد أفاض الأصبهاني في هذا المعنى في كتابه الحجة في بيان المحجة[1].



---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» للأصبهاني (٢/ ٤٤٥).

المبحث الثاني

موقف السلف من البدع وأهلها

هذا تلخيص سهل مبسط فيه فائدة عظيمة لموقف السلف من البدع، يختلف موقف السلف من البدع باختلاف البدعة ذاتها، ومن حيث ضخامتها أو حقارتها.

وباختلاف المبتدع من حيث كونه داعيًا لها أو مستترًا بها، أو كونه مع جماعة لهم قوة وسلطان، أو ليس لها ذلك، وعلى هذا فقد اختلفت مواقف السلف من البدع وأهلها إلا أنه من المتفق عليه بينهم هو التحذير من البدع والتنفير من المبتدعة، وهذا في العموم.

ولا يمنع أن نعرض هما[1] بعض مواقف السلف من المبتدعة المتنوعة بتنوع الأسباب والبواعث والملابسات[2]:

١- التأديب والتعزير بالضرب والحبس، كما فعل عمر ﷺ مع صَبِيغ بن عُسْل[3].

٢- النهي عن مجالسة ومحادثة أهل البدع[4]، والأمر بهجرهم ومقاطعتهم وترك مجادلتهم[5].

٣- مناظرتهم وتبيين الحق لهم[6]، كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج[7].

٤- قتالهم ومحاربتهم، كما فعل علي ﷺ مع الخوارج[8]. حمل السيف، وإعلان الخروج

---

(١) كذا بالأصل، والصحيح «هنا».

(٢) انظر: «حقيقة البدعة وأحكامها»، لسعيد بن ناصر الغامدي (جـ ١/ ١٨٣- ١٨٤).

(٣) انظر: «درء التعارض» (٧/ ١٧٢).

(٤) انظر: اللالكائي (١/ ١١٤).

(٥) انظر: اللالكائي (١/ ١١٤- ١٤٩).

(٦) انظر: الآجري في الشريعة (٦٥- ٦٦).

(٧) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٩).

(٨) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٧٧) والعبر (١/ ٣٢).

على المبتدعة، كما فعل الإمام أحمد بن نصر الخزاعي[١].

٥- إظهار السنة والدفاع عنها، كما فعل الإمام أحمد بن حنبل[٢]، مجالسة المبتدعة وزيارتهم وردهم عن البدعة، كما فعل أحمد بن حنبل مع أحد الرافضة ومع أحد المرجئة[٣].

وللسلف رحمه الله في التعامل مع المبتدعة منهج عظيم، يجب على طالب العلم والداعي إلى الله سبحانه وتعالى أن يتعلمه ويدرسه دراسة ينفعه الله بها، ويسترشد بها في خضم الحياة، حتى يكون في دعوته بصيرًا، عليمًا، حكيمًا، رءوفًا، رحيمًا، قويًّا، شديدًا كلٌّ في موضعه.

ومما يتناسب مع مضمون هذا البحث في موقف السلف من البدعة وبيان حال أهلها ما نقله الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة، قال: «قال أهل السنة لا نرى أحدًا مال إلى هوى، أو بدعة إلا وجدته متحيرًا ميت القلب ممنوعًا من النطق بالحق، وقالوا: الكلام في الرب ﷻ بدعة، لأنه لا يجوز أن يتكلم في الرب ﷻ إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بينه رسول الله ﷺ »[٤].



(١) هو الإمام القدوة الحافظ الثقة: أحمد بن نصر بن مالك الهيثم الخزاعي الشهير بأبي عبد الله من أقران الإمام أحمد، كون جماعة في السر لتغيير المنكر بيده، فانكشف أمره، وقتله الواثق بيده سنة (٢٣١ هـ)، «شذرات الذهب» (٢/ ٦٩).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٣٠- ٣٤٠).

(٣) انظر: «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٩٧، ١٩٤٨).

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٣١، ٤٣٢).

المبحث الثالث

وما حكم إنكار شيء من أسماء الله تعالى أو صفاته

وهذه مسألة مهمة في بحثي، رأيت من المناسب أن أذكرها، وأسترشد بفتوى الشيخ محمد بن صالح بن العثيمين سئل – رحمه الله – عن حكم من أنكر صفة من صفات الله أو شيئًا من أسمائه سبحانه وتعالى؟.

فأجاب – رحمه الله تعالى – بقوله: الإنكار نوعان:

النوع الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول ليس لله يد، فهو كافر بإجماع المسلمين، لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملّة.

والنوع الثاني: إنكار التأويل، وهو أن لا يجحدها، ولكن يؤولها وهذا نوعان:

الأول: أن يكون لهذا التأويل مسوغ في اللغة العربية فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية، فهذا موجب للكفر، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبًا، ومثل أن نقول ليس لله يدٌ حقيقية، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر، لأنه نفاها نفيًا مطلقًا، فهو مكذب حقيقة، ولو قال في قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤] (١) المراد بيديه السماوات والأرض فهو كافر، لأنه لا يصح في اللغة العربية، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية فهو منكر مكذب.

لكن إذا قال المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر، لأن اليد في اللغة تطلق بمعنى النعمة، منها قول الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ ... تحدث أن المانوية تكذب

(١) «المجموع الثمين» (جـ٢ ص ٦٢- ٦٣).

من «يد» أي من نعمة، لأن المانوية[(١)] يقولون: «إن الظلمة لا تحدث الخير وإنما تحدث الشر»[(٢)].

وقد أجاد الشيخ محمد أمان الجامي - رحمه الله - في كتابه «الإلهية في حكم نفي صفة ثابتة بالكتاب والسنة»[(٣)].

فقال بعد الاختصار والتلخيص من كتابه ما خلاصته: أن يكون النافي عالمًا بالنص الذي ثبتت به الصفة المنفية كتابًا أو سنة لا توجد لديه شبهات في تغير مفهومه في النص كأن يفهم أو يظن متأثرًا بالشبهة أن النص الذي ثبتت به الصفة لم يكن باقيًا على ظاهره مثلاً أو غير ذلك من الشبهات الكثيرة التي قد تضلل الإنسان الساذج أو قليل الاطلاع والتي أخطرها تأثرًا بآراء أهل الكلام المذموم التي تفسد القلوب وتغير المفاهيم في الغالب ولو نفى وحاله ما وصفنا من العلم وعدم وجود الشبهات معاندًا وجاحدًا، لخراب قلبه ومرضه، فهو كافر في هذه الحالة كفرًا يخرجه من الملة الإسلامية لتكذيبه كلام الله أو كلام رسوله ﷺ وهو غير معذور لما علمت، وحقيقة الكفر الذي أخرجه من الملة الخراب الذي سببه له العناد والجحود.

ثانيًا: أن ينفي غير هذه الحالة المذكورة آنفًا، كجهله للنفي أو عدم علمه المفهوم الصحيح على ما تقدم تفصيله فأرجو أن يكون معذورًا في هذه الحالة.

والخلاف بين أهل العلم في هل يعذر الإنسان بجهله في أصول الدين أم لا؟[(٤)]

ولقد نظرت في أقوال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -.

وخرجت من هذا المبحث العميق: أن المبادرة بالتكفير والتفسيق والهجر أمر في غاية الخطورة، فلابد من التريث والتحقيق في المسألة، ومن معرفة تفاصيلها، فالكفر الذي يخرج

---

(١) من الديانات القديمة الموجودة في بلاد فارس من قبل الإسلام وهي ديانة منحرفة في العقائد والأخلاق، لأنها أرضية.

(٢) «المجموع الثمين» (جـ٢ ص ٦٣).

(٣) «الصفات الإلهية» ص (٣٥٣).

(٤) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة» بتصرف (٣٥٣- ٣٥٤).

من الإسلام ويصير به الإنسان كافرًا هو جحوده لما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله عنادًا، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلها من توحيده وحده لا شريك له.

وكذلك من أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة والأمر يحتاج إلى تفصيل ليس هذا محله. فأحيانًا يكفر بالإنكار أو الجحود أو غير ذلك، وقد ذهب كثير من العلماء إلى العذر بالجهل في مسائل العقيدة، وذهب آخرون إلى عدم العذر.

المبحث الرابع

حكم الحلف بصفة من صفات الله تعالى

وهذه مسألة فقهية لطيفة ببحث الصفات، وهي: هل الحلف بصفات الله يمين؟.

فرجعت إلى ابن قدامة في المغني فوجدته قد تعرض للمسألة فاختصرتها ونقلتها في بحثي باختصار غير مخل إن شاء الله تعالى، قال - رحمه الله-: «إن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو بكلام الله يمين منعقد تجب الكفارة بالحنث فيها، وبهذا قال ابن مسعود، والحسن، وقتادة، ومالك، والشافعي، وأبو عبيدة، وعامة أهل العلم[1]».

ومعلوم عند أهل السنة أن كلام الله صفة من صفاته ففهمت من كلامه أن الحلف بصفة من صفات الله يمين ووجدت في فتاوى شيخنا الفاضل محمد بن صالح العثيمين ما يؤيد هذا الحكم عندما سئل عن حكم القسم بصفة من صفات الله تعالى فقال: «القسم بصفة من صفات الله تعالى جائز مثل أن تقول وعزة الله لأفعلن، وقدرة الله لأفعلن، وما أشبه ذلك، وقد نص على هذا أهل العلم حتى قالوا: إنه لو أقسم بالمصحف لكان جائزًا لأن المصحف مشتمل على كلام الله وكلام الله من صفاته»[2].

---

(١) «المغني» (جـ ٨ / ٦٩٥).

(٢) «المجموع الثمين» (جـ ١/ ١١٦).

ولابن تيمية بحث واسع وفتاوى تدل على أن ابن تيمية - رحمه الله تعالى - له مواقف كثيرة تدل على أنه يرى أن المرء يعذر بالجهل مطلقًا دون التفريق بين الأصول والفروع، وأرشد إلى كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لشيخ الإسلام ابن تيمية ونقل منه نقولاً لم أنقلها في بحثي خوفًا من الإطالة.

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله- حديثًا من صحيح البخاري مستدلاً به على صحة ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وأمثاله في أنه يعذر الجاهل، والمجتهد، والمخطئ في باب أصول الدين.

وهذا نص الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا ما عذب به أحدًا، فلما مات فُعِلَ به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال لها: اجمعي ما فيك منه: ففعلت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب. فغفر له**»[1].

وقد يستشكل على القارئ فيقول: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟.

قال ابن حجر - رحمه الله- ردًا على هذا الإشكال: «وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله ما يقول و لم يقل قاصدًا لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ لما يصدر منه»[2].



(١) البخاري، «فتح الباري» - كتاب الأنبياء، جـ ٦، ص (٥٩٣) رقم (٣٤٧٨) النسائي (٤/ ٣٣).
(٢) البخاري، «فتح الباري» (جـ ٦/ ٦٠٤).

فصل

في أسماء الله الحسنى

قد تكرر كثير من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسب المناسبات، والحاجة داعية إلى التنبيه إلى معانيها الجامعة فنقول:

قد تكرر اسمُ «الرب» في آيات كثيرة.

والرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير، وأصناف النعم.

وأخص من هذا، تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم، وأخلاقهم.

ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

الله: هو المألوه المعبود، ذوالألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

الملك، المالك، الذي له الملك: فهو الموصوف بصفة الملك.

وهذه صفات العظمة والكبرياء، والتقدير والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق، والأمر والجزاء.

وله جميع العالم، العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه.

الواحد الأحد: وهو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك.

ويجب على العبيد توحيده عقدًا وقولاً وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

الصمد: وهو الذي تقصده الخلائق كلها، في جميع حاجاتها، وأحوالها وضروراتها، لما له من الكمال المطلق، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

العليم الخبير: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات، والمستحيلات، والممكنات، وبالعلم العلوي، والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

الحكيم: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة، لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيلها منازلها.

الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرءوف، الوهاب. هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته.

وخص المؤمنين منها، بالنصيب الوافر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والنعم والإحسان كله من آثار رحمته وجوده وكرمه.

وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثار رحمته.

السميع: لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، وعلى تفنن الحاجات.

البصير: الذي يبصر كل شيء، وإن رق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع، وأيضًا سميع بصير، بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الآخر يرجع إلى الحكمة.

الحميد: في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها. فإن أفعاله تعالى، دائرة بين الفضل والعدل.

المجيد، الكبير، العظيم، الجليل: وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه.

قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه.

العفو، الغفور، الغفار: الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا. كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه. وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ [طه: ٨٢].

التواب: الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحًا، تاب الله عليه، فهو التواب على التائبين أولاً بتوفيقهم للتوبة، والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التواب عليهم بعد توبتهم، قبولاً لها، وعفوًا عن خطاياهم.

القدوس، السلام: أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢].

فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى، ثبت الكمال كله.

العلي الأعلى: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه.

علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى. وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهى.

العزيز: الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

القوي المتين: هو في معنى العزيز.

الجبار: وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى «الرءوف» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه.

المتكبر: عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

الخالق، البارئ، المصور: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

المؤمن: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به.

المهيمن: المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا.

القدير: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها. وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما شاء ويريد.

اللطيف: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن، والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم، بلطفه وإحسانه، من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرءوف».

الحسيب: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته، وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

الرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها، على أحسن نظام وأكمل تدبير.

الحفيظ: الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه، من وقوعهم في الذنوب والمهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم، وجزاءها.

المحيط: بكل شيء علمًا، وقدرة ورحمة وقهرًا.

القهار: لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته، وكمال اقتداره.

المقيت: الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء، بحكمته وحمده.

الوكيل: المتولي لتدبير خلقه، بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته. الذي تولى

أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلاً كفاه، ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ذو الجلال والإكرام: أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة، والجود، والإحسان العام والخاص. المكرم لأوليائه وأصفيائه الذي يجلونه، ويعظمونه ويحبونه.

الودود: الذي يحب أنبياءه ورسله، وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء. قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه، ودًّا، وإخلاصًا، وإنابة من جميع الوجوه.

الفتاح الذي يحكم بين عباده، بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء. الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم بمعرفته، ومحبته، والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة، والأرزاق المتنوعة. وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢].

الرزاق: لجميع عباده، فما من دابة في الأرض، إلا على الله رزقها، ورزقه لعباده نوعان: رزق علم[1]، شمل البر والفاجر، والأولين، والآخرين، وهو رزق الأبدان. ورزق خاص وهو القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

الحكم العدل: الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يُحَمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب الحق إلا إذا وصل إليه حقه. وهو العدل في تدبيره وتقديره: ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦].

جامع الناس: ليوم لا ريب فيه، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلا يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال

(١) كذا بالأصل، ولعلها «غذاء».

قدرته، وسعة علمه.

الحي القيوم: كامل الحياة والقائم بنفسه. القيوم لأهل السماوات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم فـ «الحي»: الجامع لصفات الذات، و «القيوم» الجامع لصفات الأفعال.

النور: نور السماوات والأرض. الذي نوَّر العارفين بمعرفته والإيمان به، ونَوَّر أفئدتهم بهدايته. وهو الذي أنار السماوات والأرض بالأنوار التي وضعها. وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

بديع السماوات والأرض: أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

القابض الباسط: يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الرزق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته.

المعطي المانع: لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع. فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

الشهيد: أي: المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات، خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده على عباده، بما عملوا.

المبدئ المعيد: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم: ٢٧]، ابتدأ خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ثم يعيدهم، ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى ويجزي المسيئين بإساءتهم، وكذلك هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئًا فشيئًا، ثم يعيدها كل وقت.

الفعال لما يريد: وهذا من كمال قوته، ونفوذ مشيئته وقدرته، أن كل أمر يريد أن يفعله لا مانع له، ولا معارض. وليس له ظهير ولا معين، على أي أمر يكون، بل إذا أراد شيئًا قال: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] ومع أنه الفعال لما يريد، فإرادته تابعة لحكمته

وحمده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة. وموصوف بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله.

الغني، المغني: فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته. فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًا، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا قادرًا، رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السماوات الأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه، غنى عامًّا، والمغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

الحليم: الذي يَدِرُّ على خلقه، النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بمعاصيهم. ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا.

الشاكر، الشكور: الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين ويذكر مَنْ ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة، تقرب الله إليه أكثر.

القريب، المجيب: أي: هو تعالى، القريب من كل أحد، وقربه نوعان: قرب خاص من عابديه، وسائليه، ومحبيه. وهو قرب لا تدرك حقيقته، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره الإجابة للداعين والإنابة للعابدين، فهو المجيب إجابة عامة، للداعين، مهما كانوا، وأينما كانوا، على أيِّ حال كانوا كما وعدهم بهذا، الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة، للمستجيبين له، المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين، وفي تعلقهم به طمعًا، ورجاء وخوفًا.

الكافي: عباده جميع ما يحتاجون، ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاص، من آمن به، وتوكل عليه، استمد منه حوائج دينه ودنياه. قد فسرها النبي ﷺ تفسيرًا جامعًا، واضحًا يخاطب ربه: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت

الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

الواسع: الصفات: والنعوت، ومتعلقاتها، بحيث لا يُحْصِي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

الهادي، الرشيد: أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيبة إليه، ومنقادة لأمره. وللرشيد معنى، بمعنى الحكيم، فهو: الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائطه كلها خير، ورشد وحكمة، ومخلوقاته مشتملة على الرشد.

الحق: في ذاته وصفاته. فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق، ولقاؤه حق ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو الحق. ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير. ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ﴾ [يونس: ٣٢]. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات[1].



(١) انظر: تفسير السعدي (جـ ٥/ ٦٢١- ٦٣٢).

الخاتمة

وخرجت من هذا البحث بنتائج مهمة جدًا لعموم المسلمين وخصوصًا لطلاب العلم وأهم هذه النتائج:

١- أن مصطلح أهل السنة خرج من زمن العصر الذهبي للإسلام، وقال به: ابن عباس رضي الله عنهما.

٢- أن عقيدة المسلمين تُؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله وهي ملائمة للفطرة السليمة، وهي سهلة وميسرة، لا طلاسم فيها ولا ألغاز.

٣- وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

٤- إن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض دليلان قطعيان، وعند توهم التعارض يقدم النقل.

٥- لا غنى لنا عن فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة.

٦- العصمة ثابتة للرسول ﷺ والأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة.

٧- المجادلة بالحسنى في بيان الحق مطلب شرعي والمراء منهي عنه.

٨- البدعة لا ترد بالبدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، ولكن يجب الالتزام بمنهج الوحي في الرد كما يجب في الاعتقاد.

٩- كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة في النار.

١٠- العقل السليم لا يخالف الكتاب والسنة، ويبحث في مجاله الذي خلقه الله له.

١١- ثبت بالأدلة النقلية والعقلية أن طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم.

١٢- لمعرفة توحيد الأسماء والصفات أهمية عظيمة في حياة المسلم، وهو من أعظم الضروريات.

١٣- معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على

لسان رسوله ﷺ، ولا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه، ويثبتون لله ﷻ ويصفونه بما وصف به نفسه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

١٤- وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

١٥- أقوال علماء الأمة ممن كان على منهج السلف واحدة على مر العصور، لأنهم يأخذون من مشكاة واحدة.

١٦- الصفات الإلهية تنقسم إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية.

١٧- للأسماء والصفات قواعد مهمة لطالب العلم عليه أن يتعلمها ويفهمها ويحفظها.

١٨- وجوب تقديم السمع على العقل في معرفة أسماء الله وصفاته.

١٩- الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

٢٠- ظواهر النصوص معلومة لنا باعتبار، مجهولة باعتبار آخر فباعتبار المعنى هي معلومة وباعتبار الكيفية التي عليها مجهولة.

٢١- صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ودل على ذلك السمع والعقل والفطرة.

٢٢- في الألفاظ المبهمة حق وباطل.

٢٣- القول في الصفات كالقول في الذات.

٢٤- القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

٢٥- من أسماء الله تعالى ما يكون دالاً على عدة صفات.

٢٦- معاني الصفات معلومة وكيفيتها مجهولة والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

٢٧- كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعديًا.

المراجع والمصادر

١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تصنيف القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء، تحقيق ودراسة أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، الناشر: مكتبة الإمام الذهبي.

٢- ابن تيمية وجهوده في التفسير، تأليف إبرهيم خليل بركة، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤ م.

٣- أبو حامد الغزالي والتصوف، دراسة حول العديد من كتب الغزالي، وخاصة كتابه إحياء علوم الدين، تأليف عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية، الناشر: دار طيبة، الرياض، «الطبعة الثانية».

٤- أبو الحسن الأشعري وعقيدته، تأليف حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية، مطبعة الفجالة الجديدة.

٥- إثبات صفة العلو، تأليف الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، حققه وعلق عليه: د. أحمد بن عطية الغامدي، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م.

٦- اجتماع الجيوش الإسلامية، للإمام ابن القيم، مع بيان موقف ابن القيم من بعض الفرق، إعداد وتحقيق الدكتور عواد عبد الله المعتق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٧- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجوي، الناشر: عيسى الحلبي.

٨- أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ١٦٤- ٢٤١ هـ، عبد الغني الدقر، الناشر دار القلم، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الناشر: دار الجيل.

١١- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، للإمام زين الدين مرعي يوسف الكرمي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥م.

١٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف الإمام أبي عبد الله ابن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، ت (٣٨٧)، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي، الناشر: دار الحرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨ م.

١٣- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد المري، الناشر مكتبة علي صبيح وأولاده، طبعة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.

١٤- الأربعين في دلائل التوحيد، لأبي إسماعيل الهروي، حققه وعلق عليه علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.

١٥- من صفات رب العالمين للذهبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد القادر محمد عطاء، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٦- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، مطبعة مكتبة الرياض الحديثة، الناشر: دار الفكر، بدون رقم.

١٧- الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تأليف الإمام علاء الدين بن المعطار، حققه وعلق عليه علي حسن علي عبد الحميد الحلبي، الناشر: دار الكتب الأثرية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

١٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: السيد الجليند، الناشر: دار المجتمع،

الطبعة الرابعة، ١٤١٠ هـ.

١٩- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق ومراجعة هاشم محمد الشاذلي، دار الحديث بجوار إدارة الأزهر، القاهرة، «لا يوجد رقم الطبعة».

٢٠- البداية والنهاية، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧١هـ)، وحقق أصوله مجموعة من المشايخ، الناشر: دار الريان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.

٢١- البيهقي وموقفه من الإلهيات، للدكتور أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٢٢- التدمرية تحقيق لإثبات الأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، حققه محمد بن عودة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م.

٢٣- التعريفات للجرجاني، الشيخ علي بن محمد الجرجاني، مطبعة سند إسلامبول، الطبعة ١٣٨٠ هـ.

٢٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق عبد الله بن الصديق، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالمغرب.

٢٥- التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ التي وصف بها نفسه، تأليف: الحافظ الكبير محمد بن إسحاق بن خزيمة، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٦- التوحيد مع إخلاص العمل لوجه الله ﷻ لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه د. محمد السيد الجليند، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.

٢٧- إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان، وتوزيع مكتبة الغزالي بدمشق، بدون رقم.

٢٩- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن الفضل التيمي الأصبهاني، حققه محمد بن محمود أبو رحيم، الناشر: دار الراية.

٣٠- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣١- الرد على الجهمية للإمام الحافظ ابن منده، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه، د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، الطبعة الثانية منقحة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٣٢- الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة الدار السفلية، والناشر: الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٣- السنة ومكانتها في التشريع، أ. د. مصطفى السباعي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.

٣٤- السُّنَّة عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، حققه مجموعة من العلماء تحت رئاسة عبد الله بن حسين آل الشيخ، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها، بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٤٩ هـ.

٣٥- الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للشيخ عبد الرازق عبد المحسن العباد، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠ م.

٣٦- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن حسين الآجري، حققه حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٧- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، د. محمد أمان علي الجامي، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

٣٨- الصواعق المرسلة، ابن القيم، تحقيق د. علي بن محمد دخيل الله، طبعة دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.

٣٩- العقيدة في الله، الدكتور عمر سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، الطبعة الخامسة.

٤٠- العقيدة السلفية في كلام رب البرية، وكشف أباطيل المبتدعة الردية، تأليف عبد الله ابن يوسف الجريع، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤١- العيز والأثر في عقائد أهل الأثر، تأليف الإمام العلامة عبد الباقي المواهبي الحنبلي، تحقيق وتعليق عصام روّاس قلعجي، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

٤٢- الفتوى الحموية الكبرى، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ.

٤٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، وبهامشه الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، النشار: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ.

٤٤- القاعدة المراكشية، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ت (٧٢٨)، حققه د. ناصر بن سعد، ورضا بن نعسان معطي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

٤٥- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، طبعة دار الهجرة، مكتبة الكوثر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٤٦- القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، لأبي عبد الله محمد محمد الحمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٧- المجموع الثمين للشيخ محمد بن صالح العثيمين، فتاوى في العقيدة، جمع وترتيب فهد ابن ناصر السليمان، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، رجب ١٤١١هـ.

٤٨- المسند، لأحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعارف.

٤٩- المغني، لابن قدامة، لأبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، على مختصر

٥٩- تبرئة السلف من تفويض الخلف، محمد بن أحمد اللحيدان، الناشر: مكتبة دار الحميض، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢ م.

٦٠- تذكرة الحفاظ للذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، كنيته أبو عبد الله، ت (٧٤٨هـ- ١٣٤٨ م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م.

٦١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.

٦٢- تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ

٦٣- تلبيس إبليس، للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة (٥٩٧ هـ)، تحقيق: السيد الجليمي، الناشر: دار الريان للتراث.

٦٤- تهذيب التهذيب، لابن حجر، الناشر: دار صادر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٥هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

٦٥- توضيح الكافية الشافية، تأليف علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الناشر: مكتبة ابن الجوزي، السعودية، طبعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

٦٦- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسوعة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للشيخ أحمد إبراهيم عيسى، وتحقيق زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - ١٨٨٦ م.

٦٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن نصار السعدي، ت (١٣٧٩هـ)، الناشر: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، السعودية، ١٤٠٧هـ.

٦٨- جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، الناشر: دار الريان، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٦٩- جامع الرسائل لابن تيمية، المجموعة الثانية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤ م.

٧٠- جامع العلوم والحكم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد ابن رجب الحنبلي البغدادي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٧١- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨ م.

٧٢- حقيقة البدعة وأحكامها، تأليف سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨ م.

٧٣- داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب، تأليف عبد العزيز سيد، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م.

٧٤- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م.

٧٥- دراسات في مباحث توحيد الأسماء والصفات، للدكتور محمد بن خليفة التميمي، الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأصلها محاضرات على طلاب الجامعة.

٧٦- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد، صححه وعلق عليه حامد الفقي من جماعة أنصار السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ.

٧٨- سنن ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار

الكتب العربية، الناشر: دار الريان، «لا يوجد رقم للطبعة».

٧٩- رجال الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي، تعريب سعيد الأعظمي الندوي، الناشر: دار العلم، الكويت، شارع السور، الطبعة السادسة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م.

٨٠- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية.

٨١- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، «بدون رقم الطبعة».

٨٢- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٨ م.

٨٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعدان حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.

٨٤- شرح السُّنَّة، تأليف أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ٣٢٩ هـ حققه د. محمد بن سعيد القحطاني.

٨٥- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، حققه مجموعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

٨٦- شرح كتاب التوحيد عن صحيح البخاري، عبد الله الغليمان، دار لينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩ م.

٨٧- شرح حديث النزول، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ م.

٨٨- شرح الفقه الأكبر، المتن المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، بشرح أبي منصور محمد بن محمود الحنفي السمرقندي، الناشر: الشئون الدينية بدولة قطر.

٨٩- شرح العقيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٩٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي أبي العماد الحنبلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩١- صحيح البخاري، المطبعة السلفية، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٨ م.

٩٢- صحيح مسلم، مطبعة إحياء الكتب العربية.

٩٣- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية.

٩٤- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٥- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، طبعه وصححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، لا يوجد تاريخ الطبع.

٩٦- طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

٩٧- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (٦٩١- ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م.

٩٨- طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والأصول، للسعدي - رحمه الله - الناشر المؤسسة العربية بالرياض.

٩٩- عشرون حديثًا من صحيح مسلم، دراسة أسانيدها وشرح متونها بقلم عبد المحسن ابن حمد العباد، المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩ هـ الطبعة الأولى، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

١٠٠- علو الله على خلقه، تأليف الدكتور بن سليمان الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

١٠١- علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن صالح البسام، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

١٠٢- فتح الباري، ابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار المطبعة السلفية، دار الريان، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ.

١٠٣- قانون التأويل للإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله العربي المعافري الأشبيلي، المتوفى سنة (٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق محمد السليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

١٠٤- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٠٥- لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، مؤسسة دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

١٠٦- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وحققه وخرج أحاديثه أشرف عبد المقصود، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، والدار السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م.

١٠٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضيَّة في عقيدة الفرق المرضيَّة، تأليف الشيخ محمد بن أحمد السفاريني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٠٨- مجموعة الرسائل والمسائل للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية، ت (٧٢٨هـ) علق عليها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

١٠٩- مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، د. ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى شوال ١٤١١هـ.

١١٠- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، المتوفى سنة (٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١١١- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (٥٧)، سنة ١٤٣٠هـ، السنة الخامسة عشرة من عمر الجامعة.

١١٢- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (٥٩)، سنة ١٤٠٣ هـ، السنة الخامسة عشرة من عمر الجامعة.

١١٣- محاسن التأويل، تأليف محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م.

١١٤- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.

١١٥- مختصر العلو للعلي الغفار، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي، اختصره محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٧٨م.

١١٦- المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد رضي الله عنه، تأليف الشيخ الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، توفي (٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة التوبة، طبعة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١١٧- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ الحافظ أحمد حكمي - رحمه الله - المتوفى (١٣٧٧هـ)، بتعليق عمر محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

١١٨- معالم التنزيل تفسير الإمام البغوي، مطبعة المنار، بمصر، بدون تاريخ.

١١٩- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي.

١٢٠- مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة، د. ناصر العقل، الناشر: دار الوطن للنشر.

١٢١- منهاج السنة النبوية لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: د. رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٢٢- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن حسن، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٣- منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ت (١٣٩٣هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

١٢٤- ميزان الاعتدال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاو، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، لم يذكر رقم الطبعة.

١٢٥- تقفي المنطق، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، صححه محمد حامد الفقي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٦- وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق، للشيخ جمال بن أحمد بن بشير بادي، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ربيع ١٤١٢هـ.

١٢٧- وسطية أهل السنة بين الفرق، رسالة دكتوراه، للشيخ محمد باكريم محمد باعبد الله، بإشراف فضيلة الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، الأستاذ بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية لعام ١٤٠٩ هـ.

١٢٨- وفيات الأعيان وأبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن أبي محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه إحسان عباس، الناشر: دار صادر، طبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



الفهرس

